وزراء العصر العباسى الأول

١٣٢ - ٢٣٢ هـ

د. فايزة إسماعيل أكبر(*)

مقـــــدمة :

ليس المقصود من هذه الدراسة تعريف القارئ بماهية منصب الـــوزارة ، أو إعطاء القارئ ترجمة عن حياة وزراء هذا العصر، فقد ألفت فى هـــذا الموضـــوع العديد من الكتب والبحوث المتأنية ، وإنما الهدف الذى قصدنـــاه مـــن وراء هـــذه الدراسة هو إلقاء الضوء على الدور الذى لعبه أشهر وزراء هذا العصر فى مختلـف الجوانب العامة مما أحدث تغييرًا فى أوضاع المجتمع الإسلامى ؛ سواءً سياسيًا ، أم اقتصاديًا ، أم إداريًا ، أم اجتماعيًا .

ونظام الوزارة واحد من النظم السياسية الهامة فى الإسلام ، بل هو أهم النظم السياسية بعد الخلافة ، إلا أن منصب الوزارة - كمؤسسة مستقلة لـــها صلاحيـــات معينة - لم يعرف إلا فى العصر العباسى . وفى ذلك يقول ابن طباطبا « الـــوزارة لم تتمهد قواعدها وتتقرر قوانينها إلا فى دولة بنى العباس . فأما قبل ذلك فلم تكـــن مقننة القواعد ، ولا مقررة القوانين ، بل كان لكل واحد من الملوك أتباع وحاشـــية ، فإذا حدث أمر استشار بذوى الحجا والآراء الصائبة ، فكل منـــهم يجـــرى مجـــرى وزير ، فلما ملك بنو العباس تقررت قوانين الوزارة وسمى الوزيـــر « وزيـــرًا » ، وكان قبل ذلك يسمى « كاتبا أو مشيرا »(١) .

فكلمة « وزير » كانت تعنى عند العرب فى صـــدر الإســـلام « المـــؤازر أو المعين » ، ولم يتعد هذا الاصطلاح المشاورة والمؤازرة بالرأى والعمل .

(*) أستاذ مشارك - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة الملك عبدالعزيز - جدة .

وعندما أصبحت الخلافة ملكًا فى بنـــى أميـــة احتـــاج خلفـــاؤهم إلـــى مـــن يستشيرونهم فى أمور الدولة ويستعينون بـــهم فـــى أمـــور القبـــائل والعصـــائب ، واصطناع الأحـــزاب منهم فاختاروا بعض البـــارزين من ذوى الـــرأى والسياســـة ليقوموا بمثل هذا العمل ، فكان هؤلاء يقومـــون بمـــهام المعـــاونين والمستشـــارين والكتاب ، لأن الوزارة كمنصب أو رتبة سياسية لم يكن قـــد تقـــرر أمرهـــا بعـــد بصورة رسمية حتى أن بنى أمية كانوا ينكرون أن يطلق على كتابـــهم ومعاونيـــهم لقـــب « وزيـــر » ، وفى ذلك يقـــول المسعودى : كانت ملوك بنى أميـــة تتكـــو أن يخاطب كاتبًا لهـــا بالوزارة وتقـــول : الوزير مشـــتق من الوزارة . والخليفة أجـــل من أن يحتـــاج إلى المؤازرة[٢] ولا يســـتثنى من هـــذا إلا زياد بن أبيه ؛ إذ لقبـــه بعض الناس « بالوزير » فى عهد معاوية بن أبى سفيان[٣] .

ويظهر من هذا أن العباسيين هم الذين عرفوا المعنى السياسى للوزارة وإن لم تظهر أهميتها فى أوائل هذا العصر أيضًا . فقد عرف أبو سلمة الخلال أحد أركـــان الدعوة العباسية باسم وزير آل محمد إلا أنه لم يتمتع بصلاحيات أو سلطات كاملـــة فى جميع الدواوين ، كما أنه لم يظهر للوزارة أبهتها ورونقها فى عهد أبـــى جعفـــر المنصور .

وباستقرار نظام الخلافة وتطور النظم الإدارية تطورت سلطة الوزيـــر فـــى تصريف شئون الحكم ، ولم تكن صلاحيات من تولوا هذا المنصب محـــدودة ، بـــل كانت تتوقف على مدى سلطة الخليفة من قوة وضعف ، فبعـــض الـــوزراء تمتـــع بصلاحيات وسلطات إدارية واسعة وبعضهم لم يعط إلا سلطات محـــدودة حتـــى إن الماوردي صنف الوزارة صنفين رئيسين :

أولهما : وزارة التفويض الذى يمارس فيها الوزير صلاحيات الخليفة كاملـــة فـــى الإدارة فيما عدا ثلاثة أمور ، هى حق تعييـــن ولـــى العـــهد ، أو عـــزل الخليفة، أو عزل من عينه الخليفة .

الثانى : وزارة التنفيذ ، وتأتى فى مرتبة تالية لـــوزارة التفويـــض وتقتصـــر فيـــها سلطات الوزير على تنفيذ أوامر الخليفة وقراراته[٤] .

ونظرًا لأهمية منصب وزير التفويض فإن هناك شروطًا يجب توافرها فيمـــن يلى هذا المنصب ، وهى غير معتبرة فيمن يلى منصب وزارة التنفيذ وهى :

- الحرية .
- الإسلام .
- العلم بالأحكام الشرعية .
- المعرفة بأمرى الحرب والخراج .

ولا أدل على أن منصب الوزارة يعد من أهم مناصب الدولة بعـــد منصـــب الخلافة ، من أن أصحاب هذا المنصب شاركوا الخليفة فى صنع القـــرار السياســـى وتركوا بصمات واضحة فـــى النواحـــى السياســـية ، والإداريـــة والاقتصاديـــة ، والاجتماعية والفكرية . كما استغل بعضهم هذه الرتبة لأغراض معينة ولعل أشـــهر من استغل هذه المرتبة لأغراض سياسية خاصة هـــو أبـــو ســـلمة الخـــلال ؛ أول الوزراء العباسيين من حيث الترتيب الزمنى .

(أ) نشاط أبى سلمة الخلال السياسى قبل تسلم بنى العباس السلطة :

قاد أبو سلمة الخلال الدعوة للعباسيين فى الأعوام الخمسة الأخيرة قبل تســـلم بنى العباس السلطة ، وهو أول من تلقب بالوزارة فـــى العصـــر العباســـى . كـــان فارسى الأصل ، واسمه : حفص بن سليمان الهمذانى الخلال مولى بن الحارث بـــن كعب من العراق[٥] ، وقد اتفق أغلب المؤرخين القدامى على أنه كان من مياســـير أهل الكوفة ، وكان يعمل بالصيرفة . أما تلقيبه بالخلال - نسبة إلى الخل - فربمـــا

يعـــود إلى أن منزله بالكوفة كان فى حارة الخلالين[٦] . تعرف أبـــو ســـلمة علـــى الدعوة العباسية عن طريق « بكير بن ماهان » ، رئيس الدعاة بالكوفـــة ، وأهمـــهم على الإطلاق ، نظرًا لطول المدة التى قضاها فى رئاسة الدعوة ، وإخلاصـــه لـــها وتفانيه فى خدمتها[٧] .

ولعل أول عمل جدى قام به أبو سلمة فى خدمة الدعوى العباسية هو تكليفـــه من قبل بكير بن ماهان بالذهاب إلى خراسان ليهيئ أنصار وشيعة العباسيين هنـــاك ليوم الثورة المرتقب ، وقد طلب منه أن يأمر الشيعة بتسويد الثياب ، وأعطاه ثلاثـــة رايات سود ؛ واحدة لمن بمرو من الشيعة ، والأخرى لمن بجرجـــان ؛ وأن يبعـــث بالثالثة إلى ما وراء النهر . واستطاع أبو سلمة أن يؤدى عمله بكفاءة عاليـــة ، وأن يبث دعاته ورسله . وكانت مدة إقامته فى خراسان أربعة أشهر رجع بعدهـــا إلـــى الكوفة ، فكان بذلك أول من أدخل الرايات السود إلى خراسان وعمل علـــى نشـــر الدعوة بها[٨] .

وبعد وفاة بكير بن ماهان سنة ١٢٧هـ/٧٤٤م تسلم أبو سلمة قيادة الدعـــوة بناء على توصية ابن ماهان[٩] . واتخذ من الكوفة مركزًا له كما فعل ابن ماهان من قبل ، وذلك لوقوعها فى منتصف الطريق بين الحميمة فـــى الأردن مقـــر إبراهيـــم الإمام وبين خراسان . وأخبر إبراهيم الإمام شيعته بخراسان أنه عيـــن أبـــا ســـلمة الخلال كبيرًا للدعاة بالكوفة ، وأمرهم بطاعته[١٠]. وقد عمل أبو سلمة فـــى خدمـــة الدعوة العباسية بكل إتقان وإخلاص ، وبذل أموالاً طائلة من أجل إظهارها ، وذلـــك فى أكثر مراحلها حرجًا . وكثيرًا ما كان يتردد على خراسان مشرفًا على أمورهـــا هناك مصطحبًا معه أبا مسلم الخراسانى .

وهكذا استمر أبو سلمة داعيًا مخلصًا لإبراهيم الإمام فى الكوفة حتـــى وقـــع الأخير فى يد مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين الذى أمر بقتله فى حران .

وفى تلك الفترة الحرجة من تاريخ الدعوة العباسية لعب أبو سلمة دوراً سياسيًا مهمًا وبارزاً ، فما أن انتصرت الجيوش الخراسانية فى خراسان ودخلت العراق حتى أرسل أبو سلمة إلى محمد بن خالد بن عبد الله القسرى أن يعلن الدعوة بالكوفة مظهرًا السواد شعار العباسيين .

وكان أن مضى محمد بن خالد إلى قصر الإمارة فدخله ، ودعا الناس إلى البيعة للرضا من آل محمد ، بعد أن هرب صاحب الشرطة الموالى للأمويين إلى واسط ملتحقًا بابن هبيرة والى الأمويين على العراق(١١) . وبعد ذلك طلب أبو سلمة من الحسن بن قحطبة قائد القوات الخراسانية أن يدخل الكوفة ، فدخلها يوم الجمعة ١٠ محرم ١٣٢هـ/ ٣٠ أغسطس ٧٤٩م . وأقبل الحسن إلى أبى سلمة وسلم إليه الرئاسة ، وخاطبه باسم « وزير آل محمد » وبايعه أهل خراسان وأهل الكوفة ، وأضحى بذلك صاحب السلطة الفعلية والممثل الشرعى لآل محمد . ثم خطب أبو سلمة وهنأ القواد والجنود من أهل خراسان بالنصر وأعلن الإمامة الهاشمية دون أن يسمى الخليفة بالاسم(١٢) .

(ب) دور أبو سلمة السياسى والإدارى بعد ظهور الدعوة العباسية بالعراق :

وبعد هذا الانتصار الذى حققه أبو سلمة فى الكوفة وتسلمه جميع السلطات الفعلية بوصفه الممثل الشرعى لآل محمد ، رحل إلى حمام أعين على بعد ثلاثة فراسخ من الكوفة وعسكر بها . ومن هناك أخذ بتنفيذ سلطاته ومسئولياته ، فبدأ بتأسيس الدواوين وتعيين العمال عليها ، ووجه القواد إلى النواحى ليقاتلوا فلول الجيوش الأموية بها(١٣) . وفرق العمال فى البلدان ليضبطوا أمورها .

أما فيما يتعلق ببيت المال والخزائن فقد حمل ما فيها إلى المعسكر وأخرج اعطيات الجند منها . وأنفذ عمال الخراج إلى الأقاليم فجبا الخراج(١٤).

ومن معسكره بحمام « أعين » أخذ أبو سلمة يصدر الأوامر ويراسل أبا مسلم الخراسانى فى مستجدات الأمور ، ويدير شئون الثورة باسم الدعوة للإمام القائم من بنى العباس دون أن يسمى الخليفة(١٥) .

حاول أبو سلمة وللمرة الثانية أن يلعب دوراً سياسيًا بـــارزًا وخطـــيرًا علـــى مسرح الأحداث . فكما كان له دوره الذى لا يستهان به فى قلب الحكـــم الأمـــوى، أراد كذلك قلب الحكم العباسى إلى علوى فى أشد أوقات تـــاريخ الدعـــوة العباســـية حرجًا . فعندما وصل أبو العباس وآل بيته إلى الكوفة فى صفـــر ســـنة ١٣٢هـــ سبتمبر ٧٤٩م ، لم يستقبلهم أبو سلمة وأبقاهم خارج المدينة منكرًا قدومهم بقولـــه : (خاطروا بأنفسهم وعجلوا) وكتم أمرهم عن جميع القواد ، ورفض أن يدفـــع لـــهم نفقات الانتقال[١٦] .

ويتفق أغلب مؤرخينا الثقاة على انحراف أبى سلمة فـــى هـــذه الفـــترة عـــن العباسيين ، ورغبته فى استغلال الدعوة لصالح العلويين ، فاليعقوبى يرى أن ســـبب إخفاء أبى سلمة العباس وآل بيته (أنه دبر أن يصير الأمر إلى آل أبى طـــالب)[١٧]، بينما يرى المسعودى أن أبا سلمة حين بلغه مقتل إبراهيم الإمام أضمر الرجوع عمـــا كان عليه من الدعوة العباسية لآل أبى طالب ، (لأنه خاف انتقاص الأمر وفســـاده عليه)[١٨] . أما الجهشيارى فيذكر (أنه لما صح عند أبى سلمة موت إبراهيم الإمام لقى رجالاً من شيعة علىّ فناظرهم على نقل الأمر إلى ولد علىّ)[١٩] ، أى أنه لمـــا درس أحوال بنى العباس لم يجد فيهم من يصلح أن يتولى إمامة المســـلمين ، كمـــا أشار الطبرى ، ومؤلف كتاب أخبار الدولة العباسية إلى أن تنكر أبى ســـلمة لأبـــى العباس وأهل بيته وتضيقيه عليهم[٢٠] .

على أن هذه المحاولات قد باءت بالفشل ، إذ لم ترض تلك الأطراف قبـــول دعوة أبى سلمة الخلال ، وبذلك وقع أبو سلمة ضحية سوء تقديـــره ، وعـــدم بعـــد نظره .

وكان أبو سلمة الخلال فى تلك الأثناء يتغيب عن أبى العباس وأهـــل بيتـــه، وكان كلما أرسل إليه أبو العباس ليسأله عن موعد ظهورهم يطلب منـــه الـــتريث ، ويخبره بأن الوقت لم يحن بعد . وبقوا على هذه الحالة أربعين يومًا. وكذلـــك كـــان

يفعل مع الخراسانيين عندما يسألونه عن الإمام[٢١] ، إلى أن اكتشف الخراســـانيون عن طريق أبى الجهم بن عطية الباهلى وعدد من القادة الآخرين مكان اختفاء أبـــى العباس وبايعوه وأعلنوا اسمه خليفة للدولة الجديدة .

وبعد فشل أبى سلمة فى جهوده التى بذلها لنقل الخلافة إلى العلويـــن وجـــد نفسه فى مأزق حرج ، فلا هو عباسى كما كان مع إبراهيـــم الإمـــام ، إذ أن قـــادة الثورة لم يكونوا مستعدين أن يتنازلوا عن سلطاتهم التى أحرزوها ، وكـــانوا علـــى يقين من أنه لتأمين استمرار نجاح ثورتهم لا بد من التمسك بالعباسيين ، أصحـــاب الدعوة ، ومبايعة أبى العباس إمامًا لدولتهم الناشئة . كمـــا أنه لم يجد من العلويـــن من ينصره ويأخذ بيده[٢٢] .

ولم يكن أمام أبى سلمة ، الذى تمت مبايعة أبى العباس له دون علمه ، إلا أن يقبل بالأمر الواقع ويبايع الخليفة ، مبرراً موقفه بأنه كان يحـــاول تمـــهيد الأمـــور لاستقامة الأمر[٢٣] . وتقبل السفاح عذره قائلاً : (عذرناك يا أبا سلمة غير مفنـــد ، وحقك لدينا معظم وسابقتك فى دولتنا مشكورة وزلتك مغفورة)[٢٤].

ويبدو مما تقدم أن أبا سلمة – بصفته الرئيس الفعلى للحكومة المؤقتة بالكوفـة – كانت تقع على عاتقه مسئولية اختيار إمام جديد بعـــد مـــوت إبراهيـــم الإمـــام ، ترضى عنه جميع الأطراف الهاشمية ، والخراسانية ، وقادة الثورة . لهذا ظل لمـــدة شهرين يبحث عن شخص قادر على استقطاب جميـــع هـــذه الأطـــراف ، لأن أبـــا العباس فى رأى أبى سلمة لم يكن الشخص المناسب لتولى هذا المنصب .

وعلى الرغم من معرفة أبى العباس بكل ما فعله أبـــو ســـلمة لإبعـــاده عـــن منصب الخلافة ، إلا أنه استوزره وأقر تلقيبـــه بوزيـــر آل محمـــد . وقـــد أجمـــع المؤرخون على اكتساب الخلال لهذا اللقب قبل فترة الدعوة إلا أنهم اختلفـــوا حـــول الصلاحيات التى ترتبت على منحه ، فبعضهم يرى أنه كان لقبًا تشريفيًا أطلق علـــى الخلال نظير خدماته ، وبعضهم يرى أنه كان ينطوى على مسئوليات محدودة .

وإذا دققنا النظر فى طبيعة المهام التى مارسها الخـــلال والمســـئوليات التـــى تقلدها فى الفترة ما بين مقتل إبراهيم الإمام وتولى أبى العباس الخلافة نرى أنه كـان صاحب السلطة الفعلية فى الكوفة . وقد اعترف بسلطته هذه جميع أنصار الدعـــوة . وذكر الجهشيارى أنه (عسكر فى حمام أعين قرب الكوفة وأقام بها ووزع عمالـــه على السهل والجبل ، وصارت الدواوين بحضرته والكتب تنفذ منه وترد عليـــه)[٢٥]، بمعنى أنه أسس دواوين جديدة ، وقام بتعيين العديد من الولاة والعمال على الأقـاليم، وجهز بعض الجيوش للقيام ببعض العمليات ، إلا أن سيطرته على الجيش لم تكـــن كاملة ،-لأنها بقيت فى يد أبى الجهم بن عطية الباهلى ، مندوب أبى سلمة السياســـى الذى رافق جيش قحطبة[٢٦] .

أما عن سلطاته وصلاحياته خلال توليه الوزارة بعد تولى أبى العباس الخلافة فيبدو أن ديوان الخراج ، وديوان الجند لم يكونا داخلين فى ســـلطته ، لأن الخليفـــة كان قد قلدهما لخالد بن برمك[٢٧] . ولا ريب فى أن هذين الديوانين كانا مـــن أهـــم الدواوين فى الدولة ، فالأول يشرف على جباية الخرج ، المصدر الرئيســـى لدخـــل الدولة ، بينما ينظم الثانى السجلات المتعلقة بمصروفات الجند، وهى أهم باب فـــى مصروفات الدولة آنذاك[٢٨] . وكثيرًا ما وقع الصدام بين سلطة أبى العباس وســـلطة وزيره أبى سلمة ، لعدم تحديد صلاحيات الثانى ، الذى كان يرغب فـــى الســـيطرة على الجهاز الإدارى كله . وقد ذكر الثقاة من مؤرخينا (بأن أبا سلمة كـــان ينفـــذ الأمور من غير مؤامرة ، أى دون مشاورة وأنه كان يظهر الإدلال والقـــدرة علـــى أمير المؤمنين)[٢٩] .

وبعد أن ثبت أبو العباس أقدامه فى الحكم أحس بأن الفرصة مواتية لـــه بـــأن يتخلص من وزيره ومنافسه السياسى الخطير . فكتب إلى أبى مسلم الخراسانى فـــى خراسان يستشيره فى قتل أبى سلمة ، فوافقه أبو مسلم على ذلك ، وأرســـل رجالـــه

من خراسان لينفذوا عملية القتل فى رجب سنة ١٣٢هـ فبراير ٧٥٠م ، وأعلن رسميًا أن الخوارج اغتالته[٣٠] ، وقد كان للمنافسة بين العملاقين أبى مسلم الخراسانى وأبى سلمة الخلال دور كبير فى التعجيل بالتخلص من الخلال[٣١] .

وهكذا قتل أول من وقع عليه لقب الوزارة فى الدولة العباسية ، ولم تغفر له سابقته فى الدعوة وإسهاماته من الناحية السياسية فى قلب حكم الدولة الأموية ، وإسهاماته الجليلة فى خدمة الدعوة العباسية ، حيث أنفق كثيرًا من أمواله الخاصة على رجالها[٣٢] إلا أن هذه الجهود والخدمات لم تشفع له عند أبى العباس .

اختلف المؤرخون على من احتل منصب الوزارة بعد أبى سلمة الخلال، فقيل أن أبا الجهم بن عطية الباهلى هو الذى تسلم مسئوليات الوزير دون اتخاذ اللقب[٣٣]، وكان المهيمن على الجيش خلال تولى أبى سلمة الوزارة . وبعد مقتل أبى سلمة أصبح من المقربين من الخليفة ، وبمثابة حاجبه ومستشاره[٣٤] . وبذلك يكون قد جمع بين السيطرة على الجيش والسيطرة على الإدارة دون أن ينال لقبًا معينًا ، أو مرتبة سياسية أو إدارية معينة .

وقد بقى أبو الجهم رجلاً موثوقًا به ومقربًا من الخليفة أبى العباس مدة خلافته، فهو الذى أخرج أبا العباس من موضعه الذى أخفاه فيه أبو سلمة ، وقام بأمره حتى بويع ، ولكنه لم ينل تلك الثقة من قبل أبى جعفر المنصور ، فقد اتهمه أبو جعفر بأنه جاسوس لأبى مسلم الخراسانى ، وأنه يكاتبه بأخباره فتخلص منه بالسم[٣٥] .

على أن بعض المؤرخين يرون بأن أبا العباس بعد مقتل أبى سلمة استوزر خالد بن برمك وزارة تنفيذ . غير أنه رفض أن يسمى « وزيرًا » ، لأنه شؤم على صاحبه[٣٦] ، قد خلف أبا سلمة فى جميع مهامه ومسئولياته بالإضافة إلى إشرافه

على ديوان الجند ، وديوان الخراج والغنائم ، وفى الواقع أن إشراف خالد على الشئون المالية يرجع إلى ما قبل تولى أبى العباس الخلافة ، فقد تقلد خالد خراج ما يفتحه جيش قحطبة بن شيب الطائى من البلاد . كما أشرف على الغنائم وتوزيعها بين الجند ، وعرف عنه أنه كان عادلاً فى توزيعها ، فأرضى بذلك جميع أهل خراسان حتى وصفه الجهشيارى « بأن ما من أحد من أهل خراسان إلا وكان عليه يد ومنة ، لأنه قسط الخراج فاحسن فيه إلى أهله »[٣٧] ، ويبدو أن أبا العباس أراد الاستفادة من خبرة خالد فى الشئون المالية ، إضافة إلى خبرة قومه فى الناحية الإدارية، فأقره على ما كان تحت يده من الغنائم ، ثم قلده ديوان الخراج وديوان الجند . وظل خالد شخصًا موثوقًا به عند الخليفة يستشيره فى الأمور العظيمة ويعمل بنصائحه وبتدبيره[٣٨] .

فلما ولى أبو جعفر المنصور الخلافة أبقى خالدًا فى منصبه مدة فكان خير سند له فى تثبيت دعائم حكمه ، وفى إخماد الفتن والثورات[٣٩] . كما كانت له جهود بارزة فى الإصلاح الإدارى ، فهو أول من ثبت الدواوين فى دفاتر بعد أن كانت تثبت فى صحف[٤٠] . وكان أول من سمى المستسمحين الذين يدخلون على الوزير لطلب العفو والسماح « بالزوار » ، وكانوا قبل ذلك يسمون بالسؤال ، لأنه كان يستقبح لهم هذا الاسم وفيهم الأحرار والأشراف[٤١] .

ويبدو أن لخالد بن برمك دوراً سياسيًا مهمًا فى خلع عيسى بن موسى من ولاية العهد والبيعة للمهدى ابن المنصور .

إلا أن أبا جعفر عزل خالدًا من جميع مهامه وقلد أبا أيوب سليمان بن مخلد الموريانى وزارته . وولى خالد ولاية فارس لمدة سنتين ، ثم عزله عنها بسبب وشاية أبى أيوب الموريانى . فصادر أبو جعفر أملاكه وألزمه بدفع ثلاثة ملايين درهم[٤٢] . ثم عفا عنه بعد ذلك وولاه الموصل سنة ١٥٨هـ/٧٧٥م وظل خالد

واليًا عليها ، حتى توفى المنصور ، فأبقاه المهدى عليها ، وكانت وفاة خـــالد ســـنة ١٦٣هـــ/٧٧٩م فى أوائل خلافة المهدى[٤٣] .

أبو أيوب سليمان بن مخلد الموريانى :

يبدو أن أبا جعفر المنصور استفاد من تجربة أخيه أبى العباس مع وزيره أبـــى سلمة الخلال ، فعمد إلى اتباع سياسة إدارية صارمة نجحت فـــى تحديـــد ســـلطات وزرائه . فبعد أن تخلص من أبى الجهم بن عطية ، وأبعد خالد بن برمك ، تـــــردد المنصور فى اتخاذ وزير ، خوفًا من تضخم نفوذه . وكان معظم وزراء المنصـــور فى أعمالهم أقرب إلى الكتاب والمساعدين الإداريين منهم إلى الوزراء .

وفى ذلك يقول صاحب الفخرى « فلم تكن الوزارة فى أيامه طائلة لاســـتبداده واستغنائه برأيه وكفاءته ، وكانت هيبته تصغر لها هيبة الوزراء ، وكانوا لا يزالـون على وجل منه وخوف فلا يظهر لهم أبهة ولا رونق »[٤٤] .

ولعل أبرز من ظهر على مسرح الأحداث من وزراء المنصور هو أبو أيـوب الموريانى ، وهو فارسى الأصل من موريان من قرى الأهواز . وكـــان ذا خـــبرة إدارية بشئون العراق ، كما كان ضليعًا فى الكيمياء ، والطب والفلك، والرياضيـلت، والسحر ، ولكنه لم يكن متمكنًا فى الفقه والشريعة الإسلامية[٤٥] .

وترجع مقدرة أبى أيوب الإدارية وخبرته بالشئون المالية إلى أواخـــر العـــهد الأموى ، فقد عمل كاتبًا لأمير الأهواز سليمان بن حبيب بـــن المـــهلب بـــن أبـــى صفرة[٤٦] . كما كان مستخدمًا فى الديوان فى ولاية يوسف بن عمر ، على العـــراق فى عهد هشام بن عبد الملك[٤٧] .

أما عن كيفية اتصاله بالعباسيين ، فقد حدث ذلك عندما كان أبو أيوب كاتبًـــا لسليمان بن حبيب بن المهلب . عندما قلد سليمان هذا أبا جعفر كـــورة ايـــذج بيـــن

خوزستان وأصبهان ، كان على أبى جعفر أن يرسل بعض الأموال إليـــه ، إلا أنـــه احتجزها لنفسه فقبض عليه سليمان وأمر بضربه، فخلصه أبو أيوب منه وكان ذلـــك بداية اتصال أبى أيوب بالمنصور(٤٨) .

وعندما تولى أبو جعفر المنصور الخلافة رأى أن ينتفع بخـــبرة الموريـــانى الطويلة بشئون العراق الإدارية والمالية ، وفى نفس الوقت مكافئته على مـــا أســداه إليه من معروف ، فاستدعاه ، وأسند إليه بعض الأعمال . فكان أول عمـــل إدارى لأبى أيوب فى خلافة المنصور هو النيابة عن عبـــد الملـــك بـــن حميـــد ، كـــاتب المنصور، فى حال غيابه عن مجلس الخليفة . وحدث أن مرض عبد الملـــك بـــداء النقرس فلزم داره وقام أبو أيوب بالعمل نيابة عنه ، وقد وفق فى أدائه ، ممـــا زاد منزلته عند المنصور ، حتى قلده وزارته ، والإشراف على الدواوين وتدبير شـــئون الدولة(٤٩) . ومما يدل على علو منزلته عند المنصور أنه عين جميع أهله وأقربائـــه فى المناصب الإدارية(٥٠) .

ونفى جواتياين صفات الوزارة وما يترتب عليها من صلاحيـــات عـــن أبـــى أيوب على الرغم من إبرازه حجم قوة مركزه بقوله : « ونســـتطيع أن نـــبرز قـــوة مركز أبى أيوب لو عرفنا حشد الموظفين الذين حشدهم المنصور ليحلوا محله فـــى المهام التى كان يشغلها بعد عزله »(٥١) ، مستندًا فى ذلك على روايـــة الجهشـــيارى بأن المنصور بعد عزل أبى أيوب عين ثلاثة مكانه ليقوموا بعمله، أحدهم للخـــاتم ، والثانى لشئون الخلافة العامة والمراسلات الخاصة ، والثالث لإدارة ضياعـــه(٥٢) . وحصر جواتياين بذلك عمل أبى أيوب الأساسى فى تقديـــم الخدمـــات الشـــخصية للخليفة وتشمل :

- مصاحبة الخليفة فى المناسبات العامة .
- العمل كمستشار خاص له .

- النظر فى البريد الخلافى، والإشراف على الإنشاء .

- النظر فى ضياع الخليفة الخاصة[٥٣] .

والحقيقة أن الجهشيارى أطلق لقب وزير على أبى أيوب فى عدة مناسبات[٥٤]، ولم يحصر سلطاته فى المهام التى حددها جواتياين ، إذ ذكر فى عدة مواضع الصلاحيات الوزارية التى منحها المنصور لأبى أيوب مثل تقليده للدواوين مع الوزارة . واستطاع أن ينال حظوة كبرى عند المنصور ، وأن يكون له نفوذ فى الدولة حتى أنه عين جميع أقربائه فى المراكز الإدارية، إضافة إلى جباية الخراج[٥٥] ، كما كان يشارك المنصور فى اتخاذ القرارات السياسية ومنها :

القضاء على أعداء أبى جعفر ، فهو الذى طمأن أبا مسلم الخراسانى عندما أراد المنصور أن يتخلص منه ، حتى يتمكن من القبض عليه . كما كان له دور إيجابى فى القضاء على عبد الجبار الأزدى والى خراسان ، وفى العفو عن سفيان ابن معاوية قاتل عبد الله بن المقفع[٥٦] .

وهكذا نرى أن أبا أيوب لم يكن كاتبًا أو مستشارًا خاصًا لدى المنصور ، وإنما كان نفوذه وسلطاته أكبر من ذلك بكثير ، حتى أصبح مهابًا عند الخاصة من أهل بيت الخلافة وعند العامة ، فهم يلجئون إليه لقضاء حوائجهم ، وإذا بدرت منهم بادرة يلتمسون العفو من المنصور على يديه .

استمرت علاقة المورياني بالمنصور وثيقة جدًا إلى أن بدأت سموم الوشاية تعمل عملها فى نفس المنصور ، وبدأ المنصور يشك فى إخلاص المورياني ، وفائه له نتيجة لسعاية الربيع بن يونس حاجب المنصور وأبان بن صدقة كاتب أبى أيوب ، وكان فى نفسهما شيء منه . فقد نجح الاثنان فى إبلاغ أبى جعفر عن أدق تفاصيل تحركات المورياني وأقربائه الذين عينهم فى المناصب لجمع الثروات الضخمة وابتزازهم للأموال .

ويبد أن المورياني استغل واردات الدولة المالية من جباية وخراج والنظر فـي ضياع وممتلكات الخليفة الخاصة لصالحه الخاص ، ومن ذلك :

- احتكاره لرخص المواد الغذائية فى سواد الكوفة والبصرة طمعًا فى الربح(٥٧) .
- أخذه مبلغ ثلاثمائة درهم لإصلاح ضيعة ابن الخليفة (صالح المسكين) بـالقرب من الأهواز فأخذ المال ولم يصلحها(٥٨) .
- المتاجرة باسمه، ومركزه، ومن ذلك بيع اسمه لصاحب ضيعة من الأهواز بمبلـغ من المال، يقدر بمائة ألف درهم فى كل سنة، وذلك حتى يرهبه العمال والنـاس فلا يعتدون على ضيعته(٥٩) .
- مشاركته هو وأخوه خالد فى الأرباح مع العمال الذين يعينهم على الجباية، حتـى قيل بأن الأموال التى كانت تجمع من جباية الأهواز كان يذهب نصفـها لبيـت المال والآخر يذهب إلى بيت مال خالد شقيق أبى أيوب(٦٠) .

وعندما تحقق للمنصور سوء تصرفات وزيره وأعوانه وابتزازهم للأمـوال ، أمر بعزل المورياني عن الوزارة ، كما عزل جميـع أقربائـه وسـجنهم وصـادر أموالهم وضيق عليهم سنة ١٥٣هـ/٧٧٠م . وبقى المورياني فى السجن حتى مـات فى السنة التالية سنة ١٥٤هـ/٧٧١م .

وبعد عزل أبى أيوب قلد أبو جعفر الفضل بن سليمان الطوسى الخاتم ، وقلـد أبان بن صدقة ديوان الرسائل ، وقلد صاعدًا مولاه النظر فى ضياعـه وممتلكاتـه الخاصة ، كما ولى ديوان خراج البصرة ونواحيها عمارة بن حمزة، وديوان خـراج الكوفة وأرضها عمرو بن كيلغ(٦١) .

وهكذا يبدو أن توليه أبى أيوب المورياني الـوزارة كـانت تجربـة أبطلـها المنصور بعد ذلك ، إذ أنه لم يعين أحدًا مكانه ، واستمر كعادته يمـارس السـيطرة المباشرة على شئون دولته .

أشهر وزراء مرحلة الاستقرار وأثرهم على النواحى الاقتصاديـــة والسياسية :

١ - أبو عبيد الله معاوية بن يسار وأثره على النواحى الاقتصادية :

عرف عهد المهدى بأنه بداية عهد الاستقرار والازدهار للدولة العباسـية، لأن والد المنصور ترك له دولة آمنة مستقرة مليئة خزائنها بالأموال[٦٢] . ففـــى عـــهده نمت المؤسسات الإدارية ورسخ النظام الوزارى ، فازدهرت نتيجـــة لذلـــك الحيـــاة الإدارية ، والسياسية ، والاقتصادية ، وبدأ منصب الوزارة يتخـــذ معالمـــه وتتســـع صلاحيات الوزراء . وقد منح المهدى الوزراء سلطات واسعة واعتمد عليهم بشـــكل كبير ، وكان يتم تعيينهم وفقًا لكفاءتهم الإدارية والكتابية .

ومن أشهر وزراء المهدى أبو عبيد الله معاوية بن يسار الأشعرى الطبرانى ، وهو جد محمد بن عبد الوهاب الكاتب[٦٣] ، أصله من فلســـطين ، حيـــث خدمـــت أسرته الإدارة الأموية ، وكان والده كاتبًا لقائد جند الأردن فى طبرية .

ومن هنا جاءت نسبة الطبرانى إلى أبى عبيد الله[٦٤] .

واختار المنصور أبا عبيد الله بن يسار لتربية ابنه المهدى ، وأن يكون كاتبًـــا له ، يقول صاحب الفخرى « أن المنصور كان قد عزم على أن يستوزره ، ولكنـــه آثر به ابنه المهدى وأوصاه بأن يمتثل لمشورته »[٦٥] .

إن اختيار المنصور أبا عبيد الله معاوية بن يسار لتربية ابنه وولى عـــهده « المهدى » يرجع إلى خبرة أبى عبيد الله وأسرته فى الشئون الإدارية . وكذلك إلـــى علمه وحسن تصرفه ، فقد نال أبو عبيد الله فى صغره نصيبًا كبـــيرًا مـــن العلـــوم المختلفة ، مما كان له أثره فى حسن تصرفه وإبداعه فى تنظيم الشـــئون الإداريـــة والمعاملات الاقتصادية . لازم أبو عبيد الله مولاه المهدى طيلة فترة ولايته للعـــهد ، فقد رافقه فى حملته على خراسان سنة ١٥٠هـــ/٧٦٧م ، وأقام معه فى الرى مـــدة طويلة عمل أثنائها على تدبير شئونه الإدارية والمالية بكل حرية وكفاءة[٦٦] . كذلـــك

استعان به المنصور فى أخذ البيعة للمهدى من عيسى بن موسى ، وفى كتابته نص تنازل عيسى بن موسى عن ولاية العهد للمهدى(٦٧) .

وبعد وفاة المنصور أخذ أبو عبيد الله البيعة العامة من الناس فى بغداد للمهدى . فكان طبيعيًا أن يقلده المهدى وزارته ودواوينه سنة ١٩٥هـ/٧٧٥م نظير كفاءته وإخلاصه(٦٨) . ويعد أبا عبيد الله من أكثر وزراء العصر العباسى إنجازاً من الناحية المالية . فكان على عكس سلفه أبى أيوب المورياني ، شديد الحرص على بيت المال ، يشير على المهدى بالاقتصاد فى النفقة ، وعدم الإسراف(٦٩) . كما كان عفيفًا يحب الخير ويحض عليه ، ويعطف على المحتاجين إلا أنه يؤخذ عليه أنه كان شديد التكبر والتيه(٧٠) .

وعلى الرغم من قصر مدة وزارة أبى عبيد الله إلا أنه أنجز عدة إصلاحات إدارية ومالية لم يعمل بها من قبل ، واحتذى بها من جاء من بعده، يقول عنه ابن طباطبا « أنه كان مقدمًا فى صناعته فاخترع أموراً » . فمن هذه الأمور إصلاحاته الإدارية والمالية والتى منها أنه(٧١) :

- رتب ديوان الخراج وقرر قواعده .
- أول من صنف كتابًا فى الخراج وتبعه آخرون بعد ذلك فصنفوا كتب الخراج .
- نظم جباية الأموال .
- نقل الخراج من المساحة إلى المقاسمة .

وقد تم وضع نظام المقاسمة سنة ١٦٠هـ/٧٧٦م ، وكان الخراج يؤخذ بالنقد وعلى مساحة الأرض ، زرعت أم لم تزرع . فرأى أبو عبيد الله أن تطور الظروف يستلزم إجراء تعديل هذا النظام . لأن إهمال الولاة الأمويين كان قد أدى إلى خراب السواد وتدهور الزراعة ، فأشار على المهدى بنظام المقاسمة(٧٢) . الذى يقوم على جعل أرض الخراج من المساحة على الجريب إلى المقاسمة على الإنتاج، وكان على النحو التالى :

« النصف على الأراضى التى تسقى سيحًا[٧٣] والثلث على الأراضـــى التـــى تسقى بالدوالى ، والربع على تلك التى تسقى بالدواليب.. ولا شىء عليـــهم ســـوى ذلك»[٧٤] . أما خراج الكروم والنخيل والشجر فإنه بقى على النظام القديم ، ولكنـــه روعى فيه القرب من الأسواق والموانئ ، إضافة إلى جودة الحاصل أو رداءتـــه ، فقلل بذلك من عسف الجباة[٧٥] .

ومن ضمن سياسة أبى عبيد الله معاوية بن يسار الماليـــة اهتمامـــه بتحســـين وإصلاح الأراضى الزراعية ، لما للعلاقة الوثيقة بين الزراعـــة وواردات الخـــراج وغيره من الضرائب الأخرى . وقد أشار الوزير على الخليفة المهدى بـــأن تكـــون نفقات الإرواء من إنشاء شبكات الإرواء والتصريف وبناء السدود ، وعمل القنـــاطر وسد الشقوق وحفر الأنهار وتقوية الضفاف، من بيت المال[٧٦]. ويبدو أن هذا النظام لم يستمر طويلا ، فعندما أمر المهدى بحفر نهر الصلة وإحياء ما على ضفتيه مـــن الأراضى وجعل نفقتها صلة لأهل الحرمين فإن نفقات حفر هذا النهر دفعـــت مـــن بيت مال المسلمين ، إلا أن المهدى بعد ذلك أمر بمضاعفة الضريبـــة المفروضـــة على المزارعين المستفيدين من حفر هذا النهر لمدة خمسين سنة تعويضا لبيت المال عن تلك النفقات[٧٧] .

وكما كانت إسهامات أبو عبيد الله معاوية بن يسار إسهامات عظيمة فى خدمة الاقتصاد الإسلامى كذلك كانت كفاءته الإدارية والكتابية . فقد كان المهدى يســـتعين به أثناء جلوسه للمظالم ، ويشاوره فى تعيين ولاة الأقاليم . وكان يخصـــــه بكتابـــة الرسائل المهمة الصادرة عنه ، فهو الذى كتب إلى الأقاليم نيابة عن المهدى كتـــاب تنازل عيسى بن موسى عن ولاية العهد إلى موسى الهادى ، وكذلك فعـــل عندمـــا أخذت البيعة لهارون وليا ثانيا للعهد[٧٨] . وهو الذى قام بتحرير كتاب يـــأمر فيـــه عمال الخراج برفع العذاب عن أهل الخراج الذين كانوا يعـــذبون بصنوف العـــذاب من السباع والزنابير عندما لا يستطيعون إيفاء ما عليهم من أموال وطـــالب عمـــال الخراج بأن يعاملوهم معاملة الغرماء[٧٩] .

ظل أبو عبيد الله معاوية بن يسار ، مقربًا من المهدى ومحط ثقته، إلا أن شدة تكبره وتخطيه حدود سلطاته ، وتدخله فى أمور لا تعنيه نفرت منه الخليفة ، وأصبح عرضة للمنافسين له والوشاة ، ومن لهم مصلحة فى إبعاده عن منصبه . وكان الربيع بن يونس من أشد هؤلاء المنافسين لأبى عبيد الله ، ولم يجد الربيع سبيلاً إلى طعن أبى عبيد الله فى شخصه ، وذلك لكفاءته وتقدمه فى صناعته وورعه ، وتقواه ، ولكنه وجد السبيل إلى ذلك فى اتهام أحد أبنائه بالزندقة ، واقنع المهدى بذلك ، فأمر المهدى بقتله وكان ذلك سنة ١٦٣هـ/٧٧٩م(٨٠) .

وبعد هذه الحادثة صرف المهدى أبا عبيد الله عن وزارته ، مكتفيًا بجعله على ديوان الرسائل ، ثم عزله عن ديوان الرسائل سنة ١٦٧هـ/٧٨٣م فقلده الربيع بن يونس(٨١) . وما زال أبو عبيد الله يؤدى عمله فى بلاط الخليفة بكل أمانة وإخلاص إلى أن طلب المهدى من الربيع أن يحجبه عنه استحياءً منه بسبب إقدامه على قتل ولده . فانقطع بداره ، واضمحل أمره ولم يطل العمر به إذ توفى سنة ١٧٠هـ/٧٨٦م(٨٢) .

٢ - يعقوب بن داود وسياسة المصالحة مع العلويين :

هو يعقوب بن داود بن عمرو بن عثمان بن طهمان ، مولى بنى سليم(٨٣) ، فارسى الأصل ، نشأ فى بيئة اشتغل أفرادها بالكتابة ، فقد خدم والده وأعمامه الأمويين ، واشتغلوا كتابًا فى الديوان فى خراسان حتى ولاية نصر بن سيار . وعرف بشغفه بالأدب وصنوف العلم(٨٤) . وبعد قيام الدولة العباسية لم يطمع أفراد هذه الأسرة فى خدمة بنى العباس ، لاتصالهم ببنى أمية وعدم ثقة العباسيين بهم . فتقربوا من آل الحسن واعتنقوا المذهب الزيدى وطالبوا بالخلافة لمحمد بن عبد الله بن الحسن « النفس الزكية » طمعًا فى أن يكون لهم دولة يعيشون فى كنفها . وكان يعقوب هذا يجول فى البلاد منفرداً تارة ، وأحياناً أخرى مع إبراهيم بن عبد الله فى طلب البيعة لمحمد النفس الزكية . فلما قتل محمد وأخوه إبراهيم وفشلت ثورتهما على يد المنصور سنة ١٤٥هـ/٧٦٢م توارى يعقوب وأخوته . فطلبهم

المنصور حتى ظفر بهم وحبس يعقوب فى السجن طوال عهد المنصور لأكثر من عشر سنوات(٨٥) . وعندما تولى المهدى الخلافة أمر بإطلاق سراحه من السجن بعد أن عفى عن أغلب السجناء السياسيين(٨٦) .

أما عن كيفية اتصال يعقوب بالخليفة المهدى وحصوله على ثقته ، ومن ثم اختياره وزيرا له ، فقد أرجعتها المصادر إلى أسباب سياسية ، وهى ميول يعقوب العلوية ، وقربه من الشيعة ومعرفته بهم ، ولكنها تختلف فى تفسير ذلك(٨٧) ، ولكن مهما يكن من اختلاف تفسيرات المؤرخين حول كيفية وصول يعقوب بن داود إلى الخليفة المهدى ، فإن جميعها تدل على أن تقريب يعقوب كان له هدف سياسى محدد وهو السعاية بآل على .

وبذلك حظى يعقوب برضى الخليفة فأعطاه لقبا فريدا من نوعه هو « الأخ فى الله » وخط ذلك فى خطاباته ومراسلاته الرسمية التى كانت تحفظ ضمن أوراق الخلافة ، وأخرج توقيعات تثبت فى الدواوين وأسبغ عليه مبلغ مائة ألف درهم(٨٨) .

واستطاع يعقوب فى وقت قصير أن يحوز على ثقة الخليفة فكان يدخل عليه وقتما يشاء ، ويقدم له النصائح فى أمر الثغور وبناء الحصون وتقوية الغزاة وتزويج العزاب ، وفكاك الأسرى والمحبوسين والقضاء على الغارمين، والصدقة على المتعففين(٨٩) .

ولا شك فى أن تلقيب المهدى « يعقوب بن داود » بلقب «الأخ فى الله» له مغزاه السياسى، فقد أراد المهدى أن يستغل ظروف يعقوب واتصالاته بالعلويين ، ليكسب جانبهم ويرصد تحركاتهم وأنشطتهم، وليأنس العلويين بحكمه من جهة ثانية.

ولتسهيل مهمة يعقوب فى سياسة المصالحة مع العلويين منحه المهدى سنة ١٦١هـ/٧٧٨م سلطات سياسية كبيرة ، مثل حق تعيين أمناء له فى جميع الولايات، ومنح هؤلاء الأمناء سلطة على الولاة أنفسهم « فكان لا ينفذ للمهدى كتاب إلى عامل فيجوز حتى يكتب يعقوب بن داود إلى أمينه وثقته بإنفاذ ذلك»(٩٠).

ولم يزل أمر يعقوب يرتفع ويعلو عند المهدى حتى استوزره وفـــوض إليـــه أمـــر الخلافة ، أى أنه وزره وزارة تفويض ، وأصـــدر مرســـومًا رســـميًا بذلـــك ســـنة ١٦٣هـــ/٧٧٩م ، فازدادت منزلة يعقوب علوًا ، حتى أخذ يقرب الزيدية وأتى بـــهم من كل ناحية ، وولاهم مناصب الدولة ليس فى العراق وحدها وإنمـــا فـــى جميـــع الولايات[٩١] .

على أن سياسة المصالحة هذه لم تأت بالنتائج المرجوة منها ، وذلك لأمـــور منها :

أولاً : لأن الخلافات بين العلويين والعباسيين كانت عميقة جـــدًا ، فـــالعلويون لـــم يستسيغوا سياسة المصالحة كما أنهم لم يثقوا بيعقوب ، واعتـــبروه شـــخصًا انتهازيًا ، ولم يسلم عيسى بـــن زيـــد نفســـه رغـــم التـــأكيدات والجوائـــز والضمانات التى حصل عليها من الخليفة عن طريق المهدى[٩٢] .

ثانيـــاً : أثارت الصلاحيات الكبيرة التى منحها يعقوب لأمنـــاء وموظفـــى الزيديـــة عداء أصحاب البريد وولاة الولايات ، فأخذوا يوغرون صدر المهدى علـــى يعقوب ، معللين ذلك بأن ميله للعلويين هـــو الـــذى جعلـــه يمنحـــهم تلـــك الصلاحيات[٩٣] .

وبذلك بدأت علاقة المهدى تتبدل تجاه يعقوب شيئًا فشـــيئًا ، ووجـــد حســـاده الفرصة سانحة للتخلص منه خاصة عندما أطلق يعقوب سراح أحد العلويين الذيـــن عهد بهم المهدى لديه ، وهربه[٩٤] . فأمر المهدى بسجن يعقوب وطرد جميع أمنائه، فظل فى السجن حتى وفاة المهدى والهـــادى ، وأطلق سراحه الرشيد بعد أن شـــفع له يحيى بن خالد البرمكى ، فاخرج من السجن بعد أن ذهب بصره وعمى فطلـــب أن يجاور فى مكة ، وأقام بها حتى توفى هناك ســـنة ١٨٧هـــ/٨٠٣م . وكـــانت وزارته للمهدى حوالى خمس سنوات[٩٥] .

وكان يعقوب ينتقد إسراف المهدى ، وتبذيره للأموال ، وكان كثيرًا ما يشير عليه بالاقتصاد فى النفقات ، وحفظ الأموال ، ولا يتورع عن وصف عمله صراحة بالسرف قائلاً له فى أحد المواقف التى استشاره فيها : « هذا يا أمير المؤمنين السرف » .

كما أنه كان ينتقد بعض تصرفاته وجلوسه فى مجالس الغناء واللهو وإنفاقه ٥٠ مليون درهم من بيت مال المسلمين على بناء منتزه . وبلغ من ضيقه أن طلب منه إعفاءه من منصبه قائلاً : « ليس على هذا استوزرتنى ، ولا على هذا صحبتك، أبعد الصلوات الخمس فى المسجد الجامع يشرب عندك النبيذ ، وتسمع السماع[٩٦] . وقد اتهم المهدى بصرف وتبذير جميع الأموال التى ادخرها والده المنصور فى خزينة الدولة ، وتقدر بتسعمائة وخمسين مليونًا من الدراهم[٩٧] .

البرامكة وزراء الرشيد :

وفى عهد هارون الرشيد (١٧٠ - ١٩٣هـ) توضحت أعمال الوزارة وتحددت صلاحيات الوزير ، وصارت الدواوين تسجل وتراقب ، ولها أصحاب متخصصون وفروع منسقة . ولعل من أبرز العناصر التى ساهمت فى تنظيم الوزارة والدواوين أسرة آل برمك ، التى لعبت دورًا خطيرًا فى هذه الحقبة من الزمن . فلقد هيمن على الوزارة يحيى بن خالد البرمكى وأولاده، واستأثروا بالنفوذ والسلطان . ولقد كان لهذه الأسرة أثر واضح وفعال فى المجتمع الإسلامى ، مما يستوجب منا أن نلقى الضوء على نشاطها فى عصر بنى العباس .

تؤكد الروايات المختلفة على أن أصول البرامكة يرجع إلى الفرس ، وأن هذه الأسرة كانت لها وجاهة قبل دخولها الإسلام .

ويقال أنهم اعتنقوا الإسلام على المذهب الشيعى فى عصر الدولة الأموية بعد أن فتح المسلمون أواسط آسيا ، وأن برمك أسلم زمن عبد الملك بن مروان وكان رجلاً عالمًا بالطب والتنجيم[٩٨] .

وأول من اتصل من البرامكة بالعباسيين هو خالد بن برمك جد هذه الأسـرة الذى لعب دوراً مهمًا فى النواحى الإدارية فى عهد كل من السفاح ، وأبـى جعفـر المنصور ، وشىء من خلافة المهدى ، حتى توفى سنة ١٦٣هـ/٧٧٩م « كما سبق وأن أشرت إلى ذلك » ، أما أشهر شخصية فى أسرة البرامكة فكانت شخصية يحيى ابن خالد ، الذى عرف بمهارته وحسن إدارته لشئون الدولة قبـل أن يتولـى وزارة هارون الرشـيد . ذلك أنه حاز على ثقة المنصور فولاه سنة ١٥٨هـ/٧٧٥م علـى « أذربيجان » ، و«أرمينية» قائلاً له : « أردتك لأمر من الأمور واخترتك لثغر مـن الثغور »[٩٩] فبقى واليًا عليها حتى وفاة المنصور .

وقد ازدادت منزلة يحيى شرفًا فى عهد الخليفة المهدى ، عندما عـهد إليـه بتربية ابنه هارون ، فقام بأداء هذه الرسالة خير قيام ، ثـم أسـند إليـه المـهدى الإشراف على دواوين هارون ، وجعله كاتبًا له بعد أن ولى المهدى أبنـه الرشـيد ولاية المغرب من الأنبار إلى إفريقيا سنة ١٦٣هـ/٧٧٩م[١٠٠] . وقد استمر يحيـى فى إخلاصه لهارون طيلة فترة حكم أبيه المهدى ، وخلافة أخيه الهادى ، الـذى أراد خلعه من ولاية الحكم ، وجعلها لابنه جعفر من بعده .

وحرص يحيى البرمكى دومًا على حث هارون على التمسك بحقه فى ولايـة العهد ، وعدم الاستجابة لرغبة الهادى[١٠١] ، وظل يسانده حتى وصـل إلـى سـدة الخلافة ، مزوداً إياه بالخبرات التى كانت تنقصه . ذلك أن هارون ولـى الخلافـة وهو فى مقتبل العمر ، تعوزه الكفاءة والخبرة فى إدارة الشئون العامة[١٠٢] .

وبالإضافة إلى ذلك كانت هناك عوامل أسرية وعاطفية ربطت هارون بيحيـى وأسرته ، فقد رضع هارون من زوج يحيى ، فـأصبح أولاد يحيـى أخوتـه فـى الرضاعة ، كما تربى وتهذب على يدى يحيى ، الذى كـان يسـهر علـى خدمتـه وراحته ، معرضًا حياته للخطر ، فنزل بذلك يحيى من نفـس هـارون منزلـة عظيمـة ، حتى أنه كان يناديه بـ (يا أبت) . وقـد عبر عن حفظـه للجميـل الذى أسـداه له يحيى - حين ثبته على التمسك بحقه إلى أن وصل واعتلى كرسـى

الخلافة - بقوله عندما بويع بالخلافة سنة ١٧٠هـ/٧٨٦م : (يا أبت أنت أجلستنى هذا المجلس ببركة رأيك ، وحسن تدبيرك ، وقد قلدتك أمر الرعية ، وأخرجته إليك فاحكم بما ترى ، واستعمل من شئت ، واعزل من رأيت ، وأسقط من رأيت ، فإننى غير ناظر معك فى شئ)[١٠٣] .

إذا فلا غرو بعد ذلك وعجب فى أن يسلم هارون عنان الأمور فى الدولة ليحيى وأسرته حتى قيل إن هارون سلم لهم خاتم الدولة ، فتداولوه بينهم بين سنة ١٧٣ إلى ١٨٠هـ[١٠٤] وبذلك أصبحت ليحيى سلطة تكاد تكون مطلقة ، فكانت له إدارة الدواوين كلها مع الوزارة[١٠٥] . وكان يحيى أول أمير من الوزراء حمل لقب وكانت الكتب التى تنفذ من ديوان الخراج باسمه ، ولم تكن تنفذ إلا عن الخليفة[١٠٦] ، وهى بدعة استنها الرشيد تجعل الوزير بمثابة النائب عن الخليفة .

وقد ساعد يحيى فى إدارة شئون الدولة ، ولداه الفضل وجعفر ، مدة سبعة عشر عاما من ١٧٠هـ-١٨٧هـ/٧٨٦م-٨٠٣م وقد باشروا فى هذه المدة جميع النواحى الإدارية ، والعسكرية ، والمالية ، والعلمية ، والأدبية[١٠٧] حتى أن الفضل كان يلقب « بالوزير الصغير » فى حين لقب جعفر « بالسلطان »[١٠٨] . وبذلك هيمن يحيى وأبناؤه على دولة الرشيد وحياته فى بداية عهده ، حتى أنهم كانوا يقيمون معه فى قصر الخلد[١٠٩] . لهذا فإن جميع الأمور التى كانت تجرى باسم الرشيد فى بداية عهده طبعت بطابع البرامكة ، فهم الذين يديرون أمور الدولة ، وهم الذين يحلون المشاكل وهم الذين يتصدون للأعمال ، فى حين أن الرشيد حرر نفسه من جميع هذه المسئوليات الإدارية ، وتسلم قيادة الجيوش لمحاربة البيزنطيين.

وبينما كان اهتمام الرشيد منصبا على تأمين الحدود الشمالية مع البيزنطيين ، كان يحيى يشرف على الأمور الداخلية ، ويستقل تدريجيا عن الخليفة فى الرأى ، ويختار بنفسه معاونيه فى الإدارة ، ويهيمن على كتاب الدواوين ، ويراقب أعمالهم فى الدواوين المركزية[١١٠] ، حتى قيل (إنه كان بدار الرشيد من ولد يحيى بن خالد

خمسة وعشرين رئيسًا من بين صاحب سيف وصاحب قلم[١١١] . أما ولاة الأقـــاليم فكان يعينهم بعد أن يكتفى ظاهريًا باتباع رأى الخليفة)[١١٢] .

من ذلك أنه عين ابنه الفضل سنة ١٧٦هـ/٧٩٢م على ولاية المشرق ، وهى الجهات الواقعة غربى إيران « منطقـــة الجبـــال ، طبرســـتان ، أرمينيـــة توســـى وأذربيجان » ، لأن الأوضاع لـــم تكن مستقرة بها ، خاصة بعدما التجأ إليها يحيـــى ابن عبد الله العلوى الـــذى فـــر من موقعة فـــخ سنة ١٦٩هـ/٧٨٥م وقام بثورتـــه فى بلاد الديلم فى بحر قزوين سنة ١٧٥هـ/٧٩١م[١١٣] . وقد نجح الفضل بعد فترة قصيرة فى إخماد نيران هـــذه الثورة باللين ، ودون سفك دمـــاء ، بعدمـــا أقنـــع يحيى بقبول الصلح ، وكتب له الرشيد أمانًا بشـــهادة القضاة والفقـــهاء . وكـــان أن سلم يحيى نفسه ، وحمله الفضل إلى الرشيد . فازدادت بذلك منزلة الفضـــل علـــوًا لدى الرشيد الذى أكرمه أشد إكرام ، وأجزل له العطاء[١١٤] .

وفى سنة ١٧٧هـ/٧٩٣م أضيفت خراسان إلى ولاية الفضل من أجل تجنيـــد قوات جديدة ، إلا أنه لم يذهب إليها حتى سنة ١٧٨هـ/٧٩٤م[١١٥] . وقد اســـتطاع الفضل خلال فترة ولايته القصيرة على المشرق أن يقـــوم بأداء مهمته خير قيـــام. وبفضل جهوده وسياسته الحكيمة وصلاته الواسعة نجح فى إقناع أمـــراء المنطقـــة المحليين ، وجماعة الدهاقين ، فى أعـــداد الجند المطلوبين . فكون جيشًـــا عظيمًـــا قوامه ٥٠,٠٠٠ ألف جندى أطلق عليه اسم «العباسية» ، أرسل منهم عشـــرين ألفًـــا إلى بغداد وأبقى الباقين فى خراسان[١١٦]. ويبدو أن الفضـــل أراد أن يجعـــل مـــن العشرين ألف جندى الذين أرسلهم إلى بغـــداد جيشًا خاصًا بـــه وبأســـرته يحميـــهم ويأتمر بأمرهـــم ، ويقف فى وجه الفئة الأخرى من الجند ، وهم الأبناء الذين كـــانوا معروفين بعدائهم لسياسات البرامكة[١١٧] .

والواقع إن الفضل أولى اهتمامًا بالغًا لمنطقة خراسان والمشرق أثناء ولايتـــه عليها ، فهو بالإضافة إلى تكوينه جيش العباسية زاد رواتب الجند وبنـــى مســـاجد ورباطات كثيرة ، وحفر قناة بلخ ، وأمر بهدم معبد النوبهار ، فلم يقدر عليه لإحكـــام

بنائه فهدم منه جزءًا بنى عليه مسجدًا . وأرسل حملة بمساعدة الدهاقين لفتح بـــلاد كابل فاقتحمها ، وغنم منها غنائم كثيرة . وقاد حملة ضد مملكة أشروسنة . وممـــا يدل على عظم مكانة الفضل فى خراسان أنه استطاع أن يعلن ولاية العهد لمحمـــد ابن الرشيد ، ويلقبه بالأمين ، ويأخذ البيعة له من الخراســـانين ، قبـــل أن يتمكـــن الرشيد من فعل ذلك فى بغداد[١١٨] . وهذا يعنى أن إعلان ولاية العهد للأمين تمـــت فى المناطق الشرقية أولاً بفضل تدبير الفضل ، ومن ثم أعلنت البيعـــة فـــى بغـــداد والمناطق الأخرى رسميًا رغم معارضة الكثير من الهاشميين .

وبهذا يتضح الدور السياسى والإدارى الجاد الذى مارسه الفضل فى البـــلاط العباسى . وقد يرجع ذلك لطبيعته الجدية فقد أثر عنه أنه كان لا يشـــرب النبيـــذ ، وكان يقول لو علمت أن الماء ينقص من مروءتى لما شربته[١١٩] .

كذلك عهد يحيى لابنه جعفر بولايات عدة ، ولكنه لم يذهب بنفسه إلـــى هـــذه الولايات ، وإنما كان يرسل إليها من ينوب عنه . ففى سنة ١٧٦هـــ/٧٩٢م ، ولـــى جعفر على المغرب كله من الأنبار إلى أفريقية بما فيها مصر ، فلم يذهـــب إليـــها وولاها من قبله عمر بن مهران كاتب الخيزران[١٢٠] .

وفى سنة ١٨٠هـــ/٧٩٦م ولى على خراسان فانتدب محمد بن الحســـن بـــن قحطبة لينوب عنه فيها[١٢١] . وفى نفس السنة أرسل جعفـــر إلـــى الشـــام لتهدئـــة العصبيـــة القبلية التى هاجت بين أهلها ، وتفاقم أمرها ، فاستطاع جعفر أن يضـــع حـــدًا للاضطرابات فسكتت الفتنة ، بعـــد أن أدب المتمردين ونزع الســـلاح مـــن القبائل وأعاد الأمن إلى المنطقة[١٢٢] .

ويبدو أن هذه هى المرة الوحيدة التى أدى فيها جعفر مهمـــة خـــارج مدينـــة السلام . فقد اقتصر عمل جعفر على ملازمة الرشيد ومنادمته لسماحة أخلاقه، فكان لا يفارقه أبدًا . وقد عبر جعفر للرشيد عن حزنه العميق لبعده عنه فترة ذهابه إلـــى الشام لتهدئة الأوضاع فيها[١٢٣] . ولعل إيثار الرشيد له وثقتـــه بـــه جعلتـــه أكـــثر

البرامكة نفوذاً ذلك أن الرشيد أشركه معه فى كثير من المهام الخاصة ، والتى تعد من واجبات الخليفة الرئيسية ، كالنظر فى المظالم ، والإشراف على البريد ودور الضرب وصك العملة ، والطرز فى جميع المناطق ، بل أكثر من ذلك ظهر اسم جعفر مكتوبًا على كل القطع النقدية فى المشرق والمغرب(١٢٤) .

كذلك عهد الرشيد إليه بتربية وتأديب ابنه عبد الله المأمون ، كما عهد من قبل بتربية ابنه محمد الأمين إلى الفضل . فتمكن بذلك جعفر من الحصول على الوصاية على المأمون ، وأشار على الرشيد بتوليته العهد بعد أخيه الأمين ، وكان له دور فى تثبيت حق المأمون وكتابة العهد وتعليقه فى جوف الكعبة(١٢٥) .

وهكذا يبدو أن ظرف ، وفصاحة ، وذكاء وتأدب جعفر ، وسهولة أخلاقه جعلته أكثر حظًا عند الرشيد من بقية إخوته ، وأكثر إدلالاً . وقد أبدى والده يحيى للرشيد مخاوفه من الصلة الشخصية التى كانت تجمع بينه وبين ابنه جعفر قائلاً له « يا أمير المؤمنين ، أنى أكره مداخل جعفر ، ولست آمن من أن ترجع العاقبة على فى ذلك منك ، فلو أعفيته واقتصرت على ما يتولاه من جسيم أعمالك لكان أحب إلى ، وآمن عليه عندى »(١٢٦) .

ولكن منادمة جعفر للرشيد فى مجالسه ، وبقاءه فى بغداد بالقرب منه لم تمنعه من أداء الأعمال الموكولة إليه على خير وجه . وقد عرف عن جعفر أنه كان فصيحًا بليغًا لبقًا عالمًا بالآداب ، والتاريخ والفقه ، لأن أباه كان قد ضمه إلى القاضى أبى يوسف الحنفى ليعلمه ويفقهه(١٢٧). وقد ذكر عنه أنه فصل فى يوم واحد ، عندما كان يجلس للمظالم مع الرشيد ، فى ألف قضية خاصة ، ووقع عليها، ولم يخرج فى شئ منها عن أحكام الفقه ، ولم تكن أى واحدة منها ضد العدالة(١٢٨).

على أن أهم ما يميز سياسة يحيى وأبنائه هى سياستهم المالية ، فقد اتسمت هذه السياسة بدقة شديدة لا تنظر إلا فى مصالح الخزينة المركزية التى امتلأت بثروات ضخمة لا تقدر بثمن . ولعل أكبر دليل على نجاح سياستهم المالية فى ملأ

خزينة الدولة بالأموال الطائلة هى قائمة الخراج التى أوردها الجهشيارى فى كتابه الوزراء[١٢٩] .

ذلك أن البرامكة اتبعوا أساليب صارمة فى جمع الضرائب لتعويض ما لحق بالخزينة من خسائر أيام خلافة المهدى ، وإن كانت الضرائب فى أحيان كثيرة تجمع بطريقة تعسفية غير شرعية . ففى بداية وزارة يحيى فرضت ضريبة العشور الإسلامية على معتنقى الإسلام فى السواد ، إضافة إلى ما كانوا يدفعونه بناء على نظام المقاسمة الذى عمل به فى أيام المهدى . ولما كان ذلك يعنى عقوبة على اعتناق الإسلام فإنه سرعان ما أبطل[١٣٠] . ومن أساليبهم المتشددة فى جمع الضرائب أنهم كانوا يطالبون الناس بدفع الضريبة كاملة مع جميع المتأخرات « البقايا » ، فتولى مطالبتهم فى دار السلام عبد الله بن الهيثم بن سام ، الذى لم يتوان عن استخدام القوة التى تصل أحياناً إلى التعذيب ، وذلك لإجبارهم على دفع الضرائب أو البقايا ، كما عينوا من أجل ذلك فى جميع الولايات موظفين للقيام بهذه المهمة[١٣١] . ففى اليمن مثلاً أقام حماد البربرى فيها ثلاث عشرة سنة ، وسام أهلها سوء العذاب حتى صاح قوم منهم بالرشيد وهو بمكة : اعزل عنا حماداً البربرى ، إن كنت تقدر . فامتنع الرشيد عن عزله فى البداية ، ولكنه ما لبث أن عزله بعد ذلك . والظاهر أن عزله تم بعد القضاء على البرامكة[١٣٢] .

وفى الموصل استطاع يحيى بن سعيد الحرشى تحصيل جميع المتأخرات إلى جانب الضرائب التى فرضت على الدواجن والماشية ، فبلغت ستة ملايين درهم[١٣٣] . وفى أذربيجان التى تم إعفاء أهلها من دفع الضريبة على أراضيهم تشجيعًا لهم للاستيطان فى المناطق الحدودية صاروا يطالبون من قبل عمال البرامكة بدفع هذه الضريبة[١٣٤] . وطالت هذه الإجراءات المشددة شمال أفريقية فلم ينج أهلها من صرامة البرامكة وموظفيهم . ومن أجل ضمان ولاء أفريقية ، عين البرامكة هرثمة بن أعين حاكمًا عليها . وكان هرثمة من أهم الشخصيات العسكرية التى ترتبط برباط وثيق مع البرامكة ، وجعلوا تحت قيادته

عدداً من جند العباسية ، الذين كان الفضل بن يحيى قد جندهم من الشرق ، فوصلها سنة ١٧٨هـ/٧٩٤م وعمل على تهدئة الأوضاع بها[١٣٥] . فلما بلغ طرابلس أعطى جندهم أرزاقهم الفائتة وآمنهم وعمل مثل ذلك فى القيروان التى وصلها سنة ١٧٩هـ/٧٩٥م وبعد أن استقرت الأوضاع فى أفريقية رجع هرثمة إلى العراق سنة ١٨١هـ/٧٩٧م فاستخلفه جعفر بن يحيى البرمكى على الحرس[١٣٦] .

وقد اضطربت الأوضاع فى أفريقية بعد عودة هرثمة ، ووجدت حكومة بغداد صعوبة فى الاحتفاظ بها ، وحكمها حكمًا مباشرًا بسبب المنافسات بين القوات المجندة من البربر والعرب فى المنطقة ، والقوات الخراسانية من جهة وتوسعات إدريس بن عبد الله العلوى الذى أراد فرض سلطانه على المغرب كله من جهة أخرى[١٣٧] فقرر الرشيد - ووزراؤه البرامكة بعد مشاورة هرثمة بن أعين - إبقاء جند العباسية الذين تركهم هرثمة هناك بصورة دائمة ، وتعيين إبراهيم بن الأغلب واليًا عليهم ، والاعتراف به أميرًا مستقلاً استقلالاً ذاتيًا ، على شرط أن تستغنى ولاية أفريقية عن المعونة المالية التى كانت تدفع من مصر ، وتقدر بحوالى مائة ألف دينار سنويًا ، وأن يدفع مقابل ذلك أربعين ألف دينار سنويًا إلى خزينة الدولة فى بغداد[١٣٨] . وكان هذا الإجراء بدون شك كسبًا جديدًا لخزينة الدولة .

وبينما انتهج البرامكة سياسة شديدة فى جمع الضرائب فى كافة أنحاء الدولة فى عهد الرشيد ، نراهم يتعاطفون مع أهل المشرق ، خاصة فى جمع الضرائب . فالفضل بن يحيى لكى ينجح فى تجنيد القوات العسكرية التى عرفت باسم «العباسية» زاد فى أعطيات الجند والقادة ، ووصل الكتاب بعشرة آلاف درهم . ولكنه عندما وجد أن هذه العطاءات التى بذلها للجند والقواد والكتاب غير كافية عمل على إحراق دفاتر البقايا ، أى عمل على إلغاء متأخرات الضرائب كلها ، وإلى إحراق السجلات حتى لا يُطالبوا بهذه المتأخرات بعد ذلك[١٣٩] .

وهكذا أدت سياسة البرامكة المالية المميزة إلى امتلاء خزينة الدولة بالأموال، مما رفع من شأنهم فى نظر الرشيد . وكما عمل البرامكة على ملئ خزينة الدولة

عملوا أيضًا على ملئ خزينة الرشيد الخاصة ، وذلك عن طريق مصادرة الأراضى المهجورة التى تركها أصحابها بسبب عبء الضرائب ، والأراضى التى مات عنها أصحابها بدون ورثة ، وأراضى بنى أمية ، حتى ممتلكات بعض أفراد العائلة العباسية التى مات عنها أصحابها صادروها وأضافوها إلى خزائن الرشيد وعائلته(١٤٠) .

وإلى جانب ذلك خص البرامكة أنفسهم بثروات هائلة ، ولم يحرموا أنفسهم ولا أصحابهم من هذا النشاط لابتزاز الأموال ، فهم يمتلكون أحسن البقاع ، وأجمل الأبنية ، وهذا جعفر يعمر قصرًا فى بغداد أنفق عليه أموالاً طائلة تقدر بعشرين مليون درهم(١٤١) . وذكر أنه كانت لديه بركة فى داره أخفى فيها أربعة آلاف دينار، وزن كل دينار مائة دينار ودينار(١٤٢) . وكان للبرامكة ممتلكات وأراض كثيرة فى البصرة ، وقيل إنهم كانوا لا يتورعون عن إبدال قنوات المياه لتنظيف بعض الأراضى السبخة العائدة لهم دون التفكير فى الأذى الذى يصيب الأراضى الأخرى(١٤٣) . وقد بلغت واردات البرامكة السنوية من الأموال ثلاثين مليونًا وستمائة وستين ألف دينار غير ضياعهم ودورهم(١٤٤) . وعن طريق هذه الثروات الضخمة التى حصلوا عليها استطاعوا أن يكونوا علاقات ممتازة مع الخاصة والعامة ، وذوى الحاجات عن طريق الهبات والأعطيات التى كانوا يعطونها بسخاء، حتى كثر على أبوابهم أصحاب الحاجات وتغنى بهم الشعراء . والظاهر أن علاقاتهم الجيدة مع الخاصة والعامة هى التى حدت من انتقادات الجماهير لهم ولأعمالهم .

وهكذا ظلت أسرة البرامكة تدير أمور الدولة وتحتل المنزلة العظيمة لدى الرشيد لمدة سبعة عشر عامًا ، وإن تفاوتت هذه المنزلة فى هذه المدة ، حتى حصل الانقلاب الخطير فى سياسة الرشيد تجاههم، فأمر بقتل جعفر فى صفر سنة ١٨٧هـ/فبراير ٨٠٣م وسجن يحيى والفضل ، وقبض على أموالهم وعقاراتهم وضياعهم بالعراق(١٤٥) . وعلى الرغم من أننا لا نعرف تفاصيل الوضع الذى أدى

إلى هذا الانقلاب ، لأن الرشيد نفسه تكتم فى إظهار ذلك ، فأفسح بذلك المجال أمام الرواة والمؤرخين ومن تعرض لتاريخ هذه الأسرة بأن يؤولوها تأويلات وصور مختلفة .

وقد أتهم البرامكة بأن لهم ميولاً علوية ، فهم يؤثرون مصلحة العلويين على مصلحة الرشيد . وهى تهمة عند العباسيين أشد من تهمة الزندقة التى أودت بحياة ابن وزير المهدى . ذلك أن هذه التهمة تشكل خطرًا جسيمًا على سلامة الدولة . وقد استغلت حادثة إطلاق جعفر البرمكى سراح الثائر يحيى بن عبد الله العلوى أسوأ استغلال من قبل أعداء البرامكة . وهناك عدد من الروايات التى تحاول إثبات انحياز البرامكة إلى العلويين وأنهم يفضلون أن يعتلى عرش الخلافة واحد منهم(١٤٦) وهى روايات يصعب على الباحث المدقق تصديقها ، لأن البرامكة لم يكونوا لينالوا تلك المنزلة الرفيعة التى حصلوا عليها فى عهد الرشيد لو تولى أحد العلويين عرش الخلافة .

ويمكن القول بأن موقف البرامكة المتميز بالمرونة والعطف تجاه العلويين كان يتماشى تمامًا مع المناخ الفكرى والسياسى فى أواخر عهد الرشيد ، والذى كان يمثله حلقات المثقفين ويشجعه البرامكة ، بعقدهم الندوات والاجتماعات لسماع الآراء والمناقشات الفكرية المختلفة . ذلك المناخ الذى تميز بالتسامح والمرونة تجاه العلويين(١٤٧) .

ونحن فى الحقيقة لسنا بصدد ذكر الأسباب التى أدت إلى نكبة البرامكة والتى لم يخل من ذكرها كتاب من كتب التاريخ .

وقد تولى أمور بلاط الرشيد - بعد نكبة البرامكة - الفضل بن الربيع ، الذى حاول قدر المستطاع أن ينال مركزًا أو حظوة مثل ما ناله البرامكة ، ولكن دون جدوى فهو لم يكن على مستوى البرامكة فى الكرم ، ولا فى ذكائهم ، أو سعة نفوذهم ولا حسن تدبيرهم(١٤٨) . ولا شك فى أن القضاء على هذه الأسرة كان

خسارة على الدولة العباسية وخاصة من ناحية النظم الإدارية. فقد أورد المؤرخـون روايات عديدة عن الفراغ الذى تركه البرامكة بعد القضاء عليهم .

وقد ندم الرشيد على إيقاعه بالبرامكة لما رآه من إهمال عماله وموظفيه الذين لم يستطيعوا سد ما تركه البرامكة من فراغ فى جميع مناحى الدولة وأثر عنه قولـه (لا آمن الله من أغرانى بقتل البرامكة ، ما رأيت رخاء بعدهم، ولا وجدت لـذة ولا راحة)[١٤٩] . وخاطب جماعة من خواصه بأنه لو وثق بصفاء نيتهم لأعادهم إلـى مناصبهم وإلى مكانتهم التى كانوا عليها . وكان يقول (حملونـا علـى نصحائنـا وكفاتنا ، وأوهمونا أنهم يقومون مقامهم فلما صرنا إلى ما أرادوا منا لم يغنوا عنـا شيئًا)[١٥٠] .

وقد شغل الفضل بن الربيع المكانة الأولى فى بـلاط الرشـيد بعـد اختفـاء البرامكة عن المسرح السياسى . وبعد موت الرشيد أصبح مـن أبـرز شـخصيات حزب الأمين فى الفتنة التى حدثت بينه وبين أخيه المأمون ، وعينه الأمين وزيـرًا له .

وزارة الفضل بن سهل وأثرها فى تأسيس خلافة المأمون :

لم ينته دور البرامكة بنكبتهم وإنما تركوا فى الإدراة ربائبهم وصنائعهم وهـم آل سهل ، وهى أسرة فارسية تنسب إلى بلدة سرخس فـى خراسـان[١٥١] . وكـان سهل بن زادا نفروخ - أب هذه الأسرة - من أبناء ملوك فارس المجوس، أسلم فـى أيام الرشيد ، واتصل بيحيى البرمكى وعمل قهرمانا له ، وكان ذلك بدايـة اتصـال آل سهل بالبرامكة[١٥٢] . ثم أحضر سهل ابنيه الفضل والحسن وقدمـهما للبرامكـة وعرفهما بيحيى بن خالد ، الذى أعجب بالفضل وذكائه وطموحه وعمـق فهمـه ، خاصة عندما نقل له كتابًا من الفارسية التى كان يتقنها إلى العربية ، وطلب منـه أن يعتنق الإسلام حتى يستطيع أن يدخله فى خدمته . فوافق الفضل وأسلم علـى يـد المأمون سنة ١٩٠هـ/٨٠٦م . ومن ذلك الوقت أصبـح أبنـاء سـهل ملازمين

للبرامكة يعملون فى خدمتهم ويأخذون عنهم أمور السياسة والإدارة ، حتـــى نكـــب البرامكة ، فلزم الفضل المأمون وعمل كاتبًا ومستشارًا له[١٥٣] .

وقد اتصف الفضل بن سهل بالذكاء وشدة الطموح فاسترعاه اتزان المـــأمون وتعقله ونجابته فتوقع له الخلافة ، فلازمه من أجل ذلك فى حياة أبيه. وبعـــد وفـــاة الرشيد لعب دورًا سياسيًا فى ضم الخلافة إليه ، لأنه كان يعلم تمامًا بأنه لن يكـــون له شأن وأسرته وحزبه ، إذا آلت الخلافة إلى أخيه الأمين .

وأكبر دليل على شدة طموح الفضل وإصراره على ضم الخلافة إلى المـأمون هو تحريضه للمأمون على الذهاب إلى خراسان فى معيـــة والـــده الرشـــيد ســـنة ١٩٢هـ/٨٠٨م لمواجهة ثورة رافع بن الليث . محذرًا إياه عن البقاء فى بغداد مـــع أخيه الأمين ، لأنه كان يعلم أن الرشيد مريض وقد يواتيه الأجل وهو فـــى طريقـــه إلى خراسان ، فيخلعه الأمين من ولاية العهد[١٥٤] . وقد أثبتت الأحداث بعد نظـــر الفضل بن سهل ؛ إذ لم يمض وقت طويل حتى توفى الرشيد فى الطريـــق ، ودفـــن فى مدينة طوس سنة ١٩٣هـ/٨٠٩م[١٥٥] ، وبدأت بوادر النزاع تظهر بين الأخوين الأمين والمأمون . وكان الرشيد قبل خروجه إلى خراسان قد استخلف على بغـــداد ابنه الأمين ، وجعل معه يحيى بن سليم يدبر أموره، فاصطحب معه إسماعيل بـــن صبيح ، وأيوب بن أبى سمير والفضل بن الربيع ، وجعل الفضل بن ســـهل علـــى كتابة المأمون والقائم على أموره[١٥٦] . وبعد أن وصل الرشيد إلى طـــوس وقبـــل وفاته بثلاثة وعشرين يومًا أرسل ابنه المأمون إلى مرو ، ومعه قســـم مـــن الجنـــد لمحاربة رافع بن الليث ، بينما بقى هو ووزيره الفضل بن الربيـــع وبقيـــة الجيـــش والأموال فى طوس . وعندما أحس بدنو أجله أوصى أن يسير بقيـــة الجيـــش إلـــى المأمون لمساعدته .

ولم ينفذ الفضل بن الربيع ولا قادة الجيش وصية الرشيد ، بل غادروا طـــوس إلى بغداد لاحقين بالخليفة الجديدة الأمين . وقد تذرع الفضل بحجة أنه لا يدع ملكًـــا حاضرًا لآخر لا يدرى ما يكون من أمره[١٥٧] . فلما علم المـــأمون بذلـــك غضـــب

وجمع من معه من قواد أبيه وشاورهم فأشاروا عليه بقتالهم وردهم إليه . وخالفهم الفضل بن سهل ، وقال للمأمون : بعدم استخدام القوة وإرسال وفد إلى الفضل بن الربيع يذكره بالبيعة ويطالبه بالوفاء لوصية أبيه(١٥٨) .

وبذلك بدأ يظهر دور الفضل بن سهل على أنه المحرك الأساسى للفتنة التى وقعت بعد ذلك بين الأخوين الأمين والمأمون ، حتى أن بعض المؤرخين يرجعون جميع ما حدث من أحداث فى تلك الفترة إلى الفضل ، ويغيبون دور المأمون تمامًا(١٥٩) والحقيقة أن المأمون كان موفقًا بوجود الفضل بن سهل وأخيه الحسن فى خدمته ، وهم الذين تدربوا على يد البرامكة . وكما وقف يحيى البرمكى خلف الرشيد حينما أراد أخوه الهادى خلعه من ولاية العهد ، وقف الفضل بن سهل خلف المأمون وسانده وأزره فى ساعات ضعفه حاثًا له على التمسك بحقه فى ولايته مطمئنًا له بقوله : (فكيف بك وأنت نازل فى أخوالك ، وبيعتك فى أعناقهم . اصبر وأنا أضمن لك الخلافة)(١٦٠) .

وقد عرف له المأمون فضله ومنحه سلطات واسعة لإدارة أموره المالية والحربية فى هذه الفترة المبكرة والحرجة من أمارته على خراسان ، فأقدم الفضل على خفض نسبة الضرائب فى المنطقة إلى الربع مما كان له أكبر الأثر فى ولاء الأهالى والتفافهم حول المأمون بقولهم : (ابن اختنا وابن عم نبينا)(١٦١) . ونتيجة لهذه السياسة المالية المتسامحة ، وبما كان لآل سهل من صلات مميزة مع أمراء المنطقة ، استطاع الفضل أن يجند عددًا كبيرًا من الجند الخراسانيين وأن يُبرز على الساحة قادة جدد من أبناء المنطقة ، أمثال طاهر بن الحسين ، الذى قاد قوات المأمون لمحاربة بغداد فيما بعد .

وتظهر الروايات المتعددة براعة الفضل ودهائه وحسن إدارته فى تثبيت مركز المأمون أمام مكائد أخيه الأمين الذى عزم على خلعه . ففى سنة ١٩٥هـ/٨١٠م عندما خلع الأمين المأمون من ولاية العهد ونهى عن الدعاء له

على المنابر ، رد الفضل بن سهل على هذا الإجراء بأن أطلق على المأمون لقب « إمام » توطيدًا لسلطته بإضفاء صفة دينية عليه .

وبعد ذلك حشد الفضل بن سهل الجيوش الكبيرة من أهالى خراسان الذين توافدوا من كل صوب وحدب ، وجعل على قيادتهم طاهر بن الحسين ، بعد حصوله على امتيازات عديدة ، وسارت الجيوش متجهة إلى الرى[١٦٢] . ومن ناحيته أشرف الفضل بن الربيع على تجهيز وإعداد جيش الأمين ، وجعل على قيادته عليًا بن عيسى بن ماهان - أحد أبرز رؤساء الأبناء - بعد أن عقد له على كور الجبل كلها نهاوند ، وهمذان ، وقم ، وأصفهان[١٦٣] . وقد بالغ الفضل بن الربيع فى تجهيز الجيش بالعدة والسلاح ، وأعطى الجند مالاً عظيمًا ، كما أجزل العطاء لقائده على بن عيسى فأعطاه مائتى ألف دينار ، وأعطى ولده خمسين ألف دينار[١٦٤] .

وقد أثار تعيين على بن عيسى بن ماهان على قيادة الجيش الموجه لمحاربة المأمون الغضب الشديد فى نفوس الخراسانيين ، لأنهم لم ينسوا ظلمه وسوء معاملته لهم عندما كان واليًا على خراسان فى عهد الرشيد، فأصروا على محاربته والاستماتة فى قتاله . وقيل إن للفضل بن سهل يدًا فى تعيين على بن عيسى بن ماهان إذ أوعز إلى أحد عيونه وجواسيسه فى بغداد بأن يزين للفضل بن الربيع تعيين على بن عيسى على قيادة الجيش ، لأن هذا التعيين سوف يثير أهالى خراسان ضده لبغضهم وكرهم له[١٦٥] .

زحف على بن عيسى بجيشه البالغ أربعين ألفًا ، وقيل خمسين ألفًا من الأبناء والأعراب إلى الرى ، حيث التقى بجيش طاهر[١٦٦] . وقد بدأ تفوق جيش الأمين واضطراب بعض ملوك خراسان فى تلك الفترة مما أثار أمام المأمون موقفًا صعبًا حتى أنه فكر جديًا فى الهرب واللجوء إلى ملك الترك والتخلى عن الخلافة ، لولا مساندة الفضل بن سهل الذى أشار عليه أن يمنح بعض هؤلاء الملوك الاستقلال الذاتى ، وأن يتنازل لبعضهم عن الجزية ، وأن يتودد للبعض الآخر بالهدايا والتحف .

كما نصحه بالتريث فإن نجحت خططه مع الثائرين عليـــه مــن ملــوك المنطقــة وانتصرت قواته على قوات أخيه فذلك الذى يأمل وإلا فليلتجئ إلى ملك الترك(١٦٧).

وكان لهذه النصائح وقعها فى قلب المأمون ، ونجحت خطط الفضل بن سهل، فهدأت ثائرة الملوك العجم ، وانتصرت قواته على قوات أخيه فى الــرى انتصــاراً ساحقًا ، وقتل على بن عيسى ، وتراجع جيشه إلى بغداد فى حالـــة ســيئة ، فلمــا وصلت رسل طاهر إلى الفضل بن سهل تخبره بالنصر دخل على المــأمون وســلم عليه بالخلافة ولقبه بأمير المؤمنين(١٦٨) .

وبعد مقتل على بن عيسى بن ماهان أرسل الأمين جيشًا آخــر بقيــادة عبــد الرحمن بن جبلة الأنبارى يقدر بحوالى عشرين ألفًا من الأبنـــاء(١٦٩) . كمــا أدرك المأمون المصاعب التى يواجهها طاهر فأرسل له فرقة قوية من جند العباسية بقيــادة هرثمة بن أعين الذى كان أحد قواد الرشيد(١٧٠) . فتقـــابل الفريقــان فـــى همــذان واقتتلوا، ولم يزل يقاتل حتى قتل(١٧١) .

وعندما بلغ المأمون ، خبر هزيمة عبد الرحمن بن جبلة ومقتله ، رفـــع مــن منزلة الفضل بن سهل ، وجعله مسئولاً أمامه عن الإدارة المدنية والعسكرية لكـــل المنطقة الممتدة من همذان إلى التبت ، ومن الخليج إلى بحر الديلم (بحر قزويــن)، ولقبه «ذو الرئاستين » أى رئاسة الحرب ورئاسة التدبير ، وجعل عمالتـــه ثلاثــة ملايين درهم فى السنة . وكان ذلك فى رجب سنة ١٩٥هـ/٨١٠م وهـــو التــاريخ الذى أصبح فيه الفضل بن سهل وزيرًا رسميًا للمأمون ، كما أطلق عليـــه لقــب « الأمير » ، فى حين ولى أخاه الحسن بن سهل ديوان الخراج(١٧٢) .

ثم تابع الأمين بعد ذلك إرسال الجيوش لمنع طاهر بن الحسين مــن الزحــف إلى بغداد فوجه أحمد بن يزيد بن مزيد الشيبانى فى عشـــرين ألــف رجــل مــن الأعراب ، وعبد الله بن حميد بن قحطبة فى عشرين آخرين من الأبنـــاء(١٧٣) . ثــم اتبع ذلك بمحاولة أخرى يائسة لإنقاذ جيشه من الهزائم المتتالية بأن عين عبد الملــك

ابن صالح على الشام والجزيرة يستعين بجنودها ، ولكن هـذه المحـاولات ذهبـت سدى ، ولم تواجه جيوش طاهر بن الحسين وهرثمة بن أعين - وهما فى تقدمـهما نحو العراق - مقاومة تذكر وحاصرا بغداد حصاراً شديدًا وضيقًا على أهلها الذيـن قاوموا الحصار لعدة أشهر ، ومن بينهم الأبناء الذين كانوا يدافعون عـن مدينتـهم بضراوة لشعورهم بأنهم يخوضون معركتهم الأخيرة . وعندما شـعر الفضـل بـن الربيع بضعف موقف الأمين هرب تاركًا خليفته يلقى مصيره وحده . وفـى ذلـك يقول المسعودى (واستتر الفضل لما تبين من اختلال أمر محمد ووهاء أمـره فقـام بوزارته من حضر من كتابه كإسماعيل بن صبيح)[١٧٤] .

ولكن يبدو أن طاهر وهرثمة لم يكونا متفاهمين حتى فـى فـترة الحصـار الشديدة . فهرثمة كان يريد نوعًا من التفاهم مع أهالى بغداد المحـاصرين ، بينمـا كان طاهر معارضًا هذه السياسة . والواقع أن الأمين عندما أحس بسوء التفاهم هـذا حاول استغلاله لصالحه ، فأرسل إلى هرثمة بطلب الأمان ، فأجابه هرثمة إلى ذلـك وأقسم له أن يقاتل دونه إن أراد المأمون التخلص منه بقتله . على أن الأميـن لـم ينجح فى الوصول إلى معسكر هرثمة ، إذ غرق قاربه فى النهر وقتل على يد جنود طاهر ، واجتز رأسه ، وأبلغ بذلك المأمون الذى أصبح خليفة دون منازع[١٧٥] .

وفى هذه الأثناء وجه المأمون ؛ بإيعاز من الفضل بن سهل ، الحسن بن سهل إلى بغداد لينوب عنه ، بعد أن عينه واليًا على ما افتتحه طاهر من كور الجبـال ، والعراق ، وفارس ، والأهواز ، وكذلك الحجاز واليمن . وبينما أبعـد طـاهر بـن الحسين إلى الجزيرة الفراتية بحجة قمع ثورة نصر بن شبث العقيلـى ، كمـا أمـر هرثمة بن أعين بالتوجه إلى خراسان[١٧٦] . وعمل فى الوقت نفسـه علـى إبقـاء المأمون فى مرو ، وقطع الأخبار عنه ، وعاقب من حاول إخباره بما يجـرى فـى بغداد ليصرف الأمور حسب سياسته المخطط لها[١٧٧] .

على أن تعيين الحسن بن سهل على العـراق لقـى معارضـة شـديدة مـن العراقيين عامة ، وأهل بغداد خاصة بما فيهم الأبناء ، الذيـن أدركـوا أن تعييـن

الحسن بن سهل واليا ونائبا عن المأمون فى بغداد معنـــاه القضـــاء علـــى نفوذهـــم وسلطاتهم ، ومكانتهم ، التى ظلوا متمتعين بها لسنوات عديدة . كذلـــك أثـــار بقـــاء المأمون فى مرو واتخاذها عاصمة له ووقوعه تحت تأثير الفضل بن سهل غضـــب الهاشميين فى العراق من عباسيين وعلويين ، فعمت الفتن والاضطرابات فى أغلـــب مناطق الدولة العباسية . وأدى موقف الأبناء العدائى وأهالى بغداد من الحسن بـــن سهل وجيشه إلى إرغامه على ترك بغداد وسحب قواته منها[١٧٨] . كما أدى غيـــاب المأمون عن بغداد عاصمة آبائه وأجداده ، وعدم وجود سلطة قوية بها إلـــى قيـــام ثورات علوية بجوار الكوفة وفى مكة واليمن[١٧٩] .

ومن أجل إرضاء العلويين أغرى الفضل بن سهل ، المـــأمون بتوليـــة أحـــد العلويين وليا للعهد من بعده ، فوقع اختياره على على بن موسى الكـــاظم ولقبـــه « بعلى الرضا » ، كما أمر الجند بأن يتركوا لبس السواد ويلبسوا الثياب الخضـــر[١٨٠]. إلا أن هذه الخطوة الجرئية لم تقنع خصوم المأمون من العلويين ، وأدت فى النهايـــة إلى ازدياد !لاضطرابات فى بغداد . وأخيرا تنبه المأمون لسياسة الفضل بن ســـهل كما تنبه من قبل والده الرشيد لسياسة البرامكة ، وأدرك أن ثورة أهالى بغداد ونقمـــة أهل بيته عليه ومبايعتهم لعمه إبراهيم بن المهدى ما هـــى إلا بســـبب قبولـــه رأى الفضل بالبقاء فى مرو ، والابتعاد عن مقر حكم العباسيين ببغداد ، وتعيـــن علـــى الرضا وليًا لعهده . فاتخذ أجرأ خطوة فى حياته ؛ إذ قرر الرحيل والانتقـــال إلـــى بغداد وأخذ على الرضا معه ، وكان ذلك سنة ٢٠٢هـــ/٨١٧م . وفى طريق العـــودة تخلص المأمون من وزيره الفضل بن سهل ، ومن ولى عهده على الرضا[١٨١] .

وصل المأمون إلى بغداد بعد سنتين من خروجه من مـــرو فوصلـــها عـــام ٢٠٤هـــ/٨١٩م . وبعد وصوله بمدة وجيزة تخلص من كل ما يشير إلى تحوله إلـــى المذهب الشيعى ، فرجع إلى لبس السواد شعار العباســـيين وطـــرح عنـــه لبـــاس الخضرة، إلا أنه تمسك بلقب الإمام الذى ظل الخلفاء العباسيون اللاحقون يتمســـكون به[١٨٢] .

وبعد أن تخلص المأمون من الفضل بن سهل استوزر أخاه الحسن بن سهل ولقبه بذى الكفايتين استرضاء لعائلة آل سهل ، وإبعاد شبهة قتل الفضل عنه . وتزوج « بوران » ابنة « الحسن » فى عرس حافل سنة ٢١٠هـ/٨٢٥م[١٨٣] .

وقد أنفق الحسن على زواج ابنته من المأمون مبالغ عظيمة ، يذكر أنه نثر على الهاشميين والقواد والكتاب بنادق مسك فى كل رقعة مكتوب فيها عطية ، دار أوضيعة ، أو جارية ، أو فرس ثم نثر على سائر الناس الدنانير والدراهم .

وفرش للمأمون حصيرًا منسوجًا بالذهب ، فلما وقف عليه نثرت على قدميه لآلئ كثيرة . كما نثرت جدة العروس على المأمون ألف درة كانت فى صينية ذهب، وأشعل بين يديه شمعة عنبر ، وزنها مائة رطل. وكان مبلغ ما أنفقه الحسن على هذا العرس خمسين مليون درهم[١٨٤] . إلا أن الحسن لم يلبث أن مرض بعلة تسمى « السوداء » سببها حزنه وجزعه على موت أخيه، ولزم منزله[١٨٥] .

والواقع أن سياسة آل سهل مثلت انقلابًا على التقاليد العباسية وإدخال كل ما هو فارسى إلى البلاط العباسى . من ذلك أن الفضل بن سهل تشبه بوزراء الأكاسرة ، فكان يجلس على كرسى مجنح ، ويحمل فيه حتى تقع عين المأمون عليه ، فإذا وقعت يوضع الكرسى ، وينزل عنه فيمشى ويحمل الكرسى حتى يوضع بين يدى المأمون ، ثم يسلم الفضل ويعود فيقعد عليه[١٨٦] . كذلك تبع تعيين على الرضا وليًا للعهد طرح لبس السواد رمز العباسيين ، ولبس الخضرة لون لباس كسرى والمجوس .

وبعد مرض الحسن بن سهل استخدم المأمون غيره من الوزراء ، من أهمهم أحمد بن أبى خالد أحد قادة الأبناء الذين قاوموا سياسة آل سهل فى العراق ، مع إخلاصهم ووفائهم للمأمون[١٨٧] .

وقد ظل أحمد فى خدمة المأمون حتى وفاته عام ٢١١هـ/٨٢٦م، ولكنه رفض أن يعين رسميًا فى منصب وزير أو كاتب[١٨٨] . ويبدو أن تعيين المأمون

لهذا الرجل فى هذا المنصب الحساس كان له مغزاه السياســى ، وهــو المصالحــة والتفاهم مع طبقة الأبناء الذين كونوا شريحة مهمة فى طبقات المجتمع العراقى .

أشهر وزراء نهاية العصر العباسى الأول :

استخدم المعتصم عدداً من الوزراء من بينهم الفضل بن مروان الــذى كــان نصرانيًا من أهل البردان(١٨٩) ، إلا أنه وصف بأنه كان عاميًــا لا علــم عنــده ولا معرفة ، ردئ السيرة جاهلاً بالأمور ، قليل المعرفة بالعلم حسن المعرفــة بخدمــة الملوك(١٩٠) . ويرجع السبب فى تعيين المعتصم له فى منصب الوزارة أنــه كــان كاتبه قبل توليه الخلافة ، وأنه قام بأمر البيعة له فى بغداد ، وضبط الأمــور فيــها حتى عاد المعتصم ، الذى كان يرافق المأمون فى غزوته الأخيرة لبلاد الروم التــى توفى فيها. وعلى الرغم من صفة الجهل التى اتصف بها الفضل بن مروان إلا أنــه تمكن من السيطرة على أمور الخلافة واحتل منزلة عظيمة لدى المعتصم ، ومنــح سلطات.وصلاحيات واسعة(١٩١) . ولكن المعتصم ما لبث أن عزله من منصبه فــى رجب سنة ٢٢١هـ/ يوليو ٨٣٦م بعدما تبين له جهله وتحكمه فــى الإدارة وبيــت المال . فأمر بحبسه وصادر أمواله ثم أعفاه ، فأخذ الفضل ينتقل فى البلاد مدة مــن الزمن حتى مات أيام المستعين سنة ٢٥٠هـ/٨٦٤م(١٩٢) .

وبعد أن عزل المعتصم الفضل بن مروان استعان بالتجار فــى إدارة شــئون الدولة خاصة المالية منها ، وذلك لما لهم من قوة اقتصادية فعين محمد بــن عبــد الملك بن أبان الزيات أحد أغنى تجار بغداد وزيرًا له(١٩٣). وقد عرف بابن الزيــات، لأن جده أبان كان يجلب الزيت من موطنه إلى بغداد ليتــاجر فيــه، وأصلــه مــن جيل(١٩٤) . وكان والده تاجرًا موسرًا فنشأ ابنه فى رغد من العيش فاتجــه لدراســة العلوم والآداب ، ونال من ذلك حظًا عظيمًا ساعده على القيام بأعباء الوزارة خــير قيام طيلة عهد المعتصم وابنه الواثق .

ومن أعماله المالية أثناء وزارته إلغاء ضريبة العشر على السفن الواردة مــن وإلى موانئ الخليج(١٩٥) ، عبر المحيط الهندى من شرق أفريقية ، وجنــوب آســيا

وجنوبها الشرقى والشرق الأقصى . ويبدو أن هذا التدبير كان بالدرجة الأولى فى مصلحة الأغنياء والتجار أمثال ابن الزيات نفسه ، لأنه لم يؤد إلى خفض الأسعار ، ولم يستفد منه عامة الشعب والفقراء ، لأنها كانت تتاجر بالسلع الكمالية .

وبعد وفاة الواثق استوزره المتوكل ، واستمر ابن الزيات فى خدمة المتوكل أربعين يومًا ، نكبه بعدها وصادر أمواله وعذبه حتى مات فى سنة ٢٣٣هـ/٨٤٧م ، بعد أن ظل فى منصب الوزارة اثنتى عشرة سنة(١٩٦) . ويعد ابن الزيات - رغم عيوبه التى تميزت بالقسوة وعدم الرحمة وعدم محبة الناس له لقسوته فى جمع الضرائب - آخر وزراء العصر العباسى الأول الأفاضل ، العلماء ، وكان الوزير الوحيد الذى وزر وزارة واحدة لم يقطعها صرف أو عزل لثلاثة خلفاء متتابعين(١٩٧) .

* * *

وهكذا نرى من خلال هذه الدراسة الدور الهام الذى لعبه وزراء هذا العصر على مسرح الأحداث فى الفترة الممتدة من سنة ١٣٢هـ/٧٥٠م إلى سنة ٢٣٢هـ/٨٤٧م . وخير دليل على ذلك الدور الذى لعبه البرامكة وزراء الرشيد ، حتى ارتفع شأنهم وتولوا مناصب الدولة وعلا سلطانهم فلم يعد يحتملهم الخليفة ، مما حدا به إلى نكبتهم فى النهاية .

كذلك الدور الذى لعبه بنو سهل فى التأثير على المأمون حتى استطاعوا أن يحققوا آمال الشعوبيين والشيعة بتحويل الخلافة إلى آل على رضى الله عنه ، وكيف أدى ذلك إلى بيعة على الرضا بولاية العهد، وانتهاء الأمر بمقتل الفضل بن سهل وعلى الرضا .

كل هذا يبرز أهمية الدور الذى لعبه وزراء العصر العباسى فى سياسة بنى العباس ، وأثر ذلك كله على المجتمع الإسلامى .

الهوامش

(١) ابن طباطبا ، فخر الدين بن محمد بن على ، الفخرى فى الآداب السلطانية ، بيروت ، دار بيروت ١٣٨٥هـ ، ص١٥٣ .

(٢) المسعودى ، التنبيه والإشراف ، بيروت ، دار ومكتبة الهلال ، ١٩٨١ ، ص٣١٠ .

(٣) الكروى ، نظام الوزارة ، ص٢٤ .

(٤) الماوردى ، الأحكام السلطانية ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، د. ت ، ص٢٥ - ٣٣ .

(٥) ابن طباطبا ، الفخرى ، ص١٥٣ ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، حققه إحسان عباس ، بيروت ، دار صادر ، د. ت ، جـ٢ ، ص١٩٥ .

(٦) ابن طباطبا ، الفخرى ، ص١٥٤ ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، جـ٢ ، ص١٩٦ .

(٧) كان أبو سلمة صهراً ليبكير بن ماهان ، فهو زوج ابنته ، البلاذرى ، أنساب الأشراف ، بيروت ، دار الفكر ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م ، جـ٤، ص١٦٠ .

(٨) مؤلف مجهول ، أخبار الدولة العباسية ، تحقيق عبد العزيز الدورى ، بيروت، دار الطليعة ١٩٧١ ، ص٢٤٥ .

(٩) البلاذرى ، أنساب الأشراف ، جـ٤ ، ص١٦٠ ، ابن طباطبا ، الفخرى ، ص١٥٤ .

(١٠) الطبرى ، تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، بيروت، دار سويدان ، د. ت ، جـ٧ ، ص٣٢٩ .

(١١) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق أكرم ضياء العمرى ، دار طيبة ، الرياض ، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ، ص٤٠٠ ، مؤلف

مجهول ، أخبار الدولة العباسية ، ص٣٦٧ - ٣٦٨ . البـــلاذرى ، أنســاب الأشراف ، جـــ٤ ، ص١٨٣ ، الطبرى ، تاريخ ، جـــ٧ ، ص٤١٧ .

(١٢) خليفة بن خياط ، تاريخ ، ص٤٠٠ ، مؤلف مجهول ، تاريخ الدولة العباسية، ص٣٧٤ - ٣٧٥ ، البلاذرى ، أنســـاب الأشــراف ، جـــ٤ ، ص١٨٣ ، الطبرى تاريخ ، جـــ٧ ، ص٤١٨ .

(١٣) الطبرى ، تاريخ ، جـــ٧ ، ص٤١٨ - ٤١٩ .

(١٤) مؤلف مجهول ، أخبار الدولة العباسية ، ص٣٧٦ .

(١٥) أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشيارى ، كتاب الوزراء والكتاب ، تحقيــق مصطفى السقا وآخرون ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، مطبعة مصطفى ألبــانى الحلبى ، د. ت ، ص٨٤ .

(١٦) الطبرى ، تاريخ ، جـــ٧ ، ص٤٢٣ - ٤٣٠ ، الجهشــيارى ، الــوزراء ، ص٨٥ .

(١٧) اليعقوبى ، تاريخ اليعقوبـــى ، بــيروت ، دار صـــادر ، د. ت ، جـــ٢ ، ص٣٤٩ .

(١٨) المسعودى ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، بيروت ، دار الفكر ، الطبعـــة الخامسة ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م ، جـــ٣ ، ص٢٦٨ .

(١٩) الجهشيارى ، الوزراء ، ص٨٦ .

(٢٠) الطبرى ، تاريخ ، جـــ٧ ، ص٤٢٤ - ٤٣٠ ، مؤلف مجهول ، أخبار الدولة العباسية ، ص٤٠٤ .

(٢١) البلاذرى ، أنساب الأشراف ، جـــ٤ ، ص١٨٤ .

(٢٢) محمد أحمد برانق ، الوزراء العباسيون ، القـــاهرة ، المطبعـــة النموذجيـــة ، جـــ١ ، ص٨٢ .

(٢٣) البلاذرى ، أنساب الأشراف ، جـــ٤ ، ص١٨٥ ، اليعقوبى ، تاريخ ، جـــ٢، ص٣٥٠ .

(٢٤) الجهشيارى ، الوزراء ، ص٨٧ .

(٢٥) الجهشيارى ، الوزراء ، ص٨٥ - ٨٦ .

(٢٦) البلاذرى ، أنساب الأشراف ، جـ٤ ، ص١٨١ .

(٢٧) الجهشيارى ، الوزراء ، ص٨٧ - ٨٩ .

(٢٨) صالح أحمد العلى ، معالم بغداد الإدارية والعمرانية ، ط١ ، بغداد ، دار الشئون الثقافية العامة ، ١٩٨٨ ، ص١٢٩ .

(٢٩) ابن قتيبة الدينورى ، الإمامة والسياسة ، تحقيق طه محمد الزينى ، بيروت ، دار المعرفة ، د. ت ، جـ٢ ، ص١٢٠ ، أو حنيفة الدينورى ، الأخبار الطوال ، تحقيق عبد المنعم عامر ، بغداد ، مكتبة المثنى ، د. ت ، ص٣٧٠ .

(٣٠) الجهشيارى ، الوزراء ، ص٩٠ ، ابن طباطبا ، الفخرى ، ص١٥٥ .

(٣١) المسعودى ، مروج الذهب ، جـ٣ ، ص٢٨٤ .

(٣٢)المسعودى ، مروج الذهب ، جـ٣ ، ص٢٨٤ ، ابن طباطبا ، الفخرى ، ص١٥٤ .

(٣٣) الطبرى ، تاريخ ، جـ٧ ، ص٤٧١ ، الوزراء ، ص١٣٦ ، ابن طباطبا ، الفخرى ، ص١٥٦ .

(٣٤) اليعقوبى ، تاريخ ، جـ٢ ، ص٣٦١ .

(٣٥) البلاذرى ، أنساب الأشراف ، جـ٤ ، ص٢٥٣ ، الجهشيارى ، الوزراء ، ص١٣٦ ، ابن طباطبا ، الفخرى ، ص١٥٦ ، ينكر المسعودى بأن المنصور استوزر ابن عطية الباهلى ، مروج الذهب ، جـ٣ ، ص٢٩٨ .

(٣٦) المسعودى ، التنبيه والأشراف ، ص٣١٠ ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، جـ٦ ، ص٢١٩ ، ابن طباطبا ، الفخرى ، ص١٥٦ .

(٣٧) الجهشيارى ، الوزراء ، ص٨٧ .

(٣٨) الجهشيارى ، الوزراء ، ص٩٥ .

(٣٩) حسن أحمد محمود ، وآخرون ، العالم الإسلامى فى العصر العباســى ، ط٥، القاهرة ، دار الفكر العربى ، د. ت ، ص١٠٥ .

(٤٠) الجهشيارى ، الوزراء ، ص٨٩ .

(٤١) الجهشيارى ، الوزراء ، ص١٥٠ ، ابن طباطبا ، الفخرى ، ص١٥٧ .

(٤٢) الجهشيارى ، الوزراء ، ص٩٣ .

(٤٣) الجهشيارى ، الوزراء ، ص١٥١

(٤٤) ابن طباطبا ، الفخرى ، ص١٧٤ .

(٤٥) الجهشيارى ، الوزراء ، ص٩٧ .

(٤٦) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، جـ٣ ، ص٢٧٦ .

(٤٧) البلاذرى ، أنساب الأشراف ، جـ٤ ، ص٣٢٥ .

(٤٨) الجهشيارى ، الوزراء ، ص٨٩ ، المسعودى ، مــروج الذهــب ، جـــ٣ ، ص٢٩٨ .

(٤٩) الجهشيارى ، الوزراء ، ص٩٧ .

(٥٠) الجهشيارى ، الوزراء ، ص ٩٧ .

(٥١) س. د. جواتيايين ، دراسات فى التاريخ والنظم الإسلامية ، تعريب د. عطيــة القوصى ، الكويت ، وكالة المطبوعات ١٩٨٠ ، ص٨٩ - ٩٠ .

(٥٢) الجهشيارى ، الوزراء ، ص١٢٤ .

(٥٣) س. د. جواتيايين ، دراسات فى التاريخ والنظم الإسلامية ، ص٩٠ .

(٥٤) الجهشيارى ، الوزراء ، ص٩٧ ، ١٠٠ ، ١١٥ ، ١١٨ .

(٥٥) البلاذرى ، أنساب الأشراف ، جـ٤ ، ص٣٤٦ ، الجهشيارى ، الــوزراء ، ص٩٧ ، ١١٧ .

(٥٦) الجهشيارى ، الوزراء ، ص١٠٧ ، ١١٢ ، ابن الأثير ، الكامل فى التــاريخ، ط٢ ، بــيروت دار الكتــاب العربــى ، ١٣٨٧هـــ/١٩٦٧م ، جـــــ٤ ، ص٣٥٣ ، ٣٦٧ .

(٥٧) الجهشيارى ، الوزراء ، ص١١٧ .

(٥٨) الجهشيارى ، الوزراء ، ص١١٨ .

(٥٩) الجهشيارى ، الوزراء ، ص١١٨ .

(٦٠) البلاذرى ، أنساب الأشراف ، جـ٤ ، ص٣٢٦ .

(٦١) الجهشيارى ، الوزراء ، ص١٢٤ .

(٦٢) الجهشيارى ، الوزراء ، ص١٥٨ ، المسعودى ، مروج الذهب ، جـ٣ ، ص٣٢٢ .

(٦٣) المسعودى ، مروج الذهب ، جـ٣ ، ص٣٢٢ .

(٦٤) الجهشيارى ، الوزراء ، ص١٢٦ .

(٦٥) ابن طباطبا ، الفخرى ، ص١٨٢ .

(٦٦) الجهشيارى ، الوزراء ، ص١٢٧ .

(٦٧) الجهشيارى ، الوزراء ، ص١٢٦ - ١٢٧ .

(٦٨) الجهشيارى ، الوزراء ، ص ١٤١ .

(٦٩) الجهشيارى ، الوزراء ، ص ١٥٨ .

(٧٠) ابن طباطبا ، الفخرى ، ص١٨٢ - ١٨٣ .

(٧١) ابن طباطبا ، الفخرى ، ص١٨٢ .

(٧٢) ابن طباطبا ، الفخرى ، ص١٨٢ .

(٧٣) السيح : السقى بدون كلفة ولا مشقة من ماء السماء . والسيح الماء الجارى انظر ابن منظور ، لسان العرب، بيروت ، دار بيروت ، د. ت ، جـ٢ ، ص٤٩٢ .

(٧٤) الماوردى ، الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، د. ت ، ص١٨٩ ، ضيف الله يحيى الزهرانى ، موارد بيت المال فى الدولة العباسية ، ط١ ، مكة ، الفيصلية ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ، الكتاب الأول ، ص٢٤٧ .

(٧٥) الماوردى ، الأحكام السلطانية ، ص١٨٩ - ١٩٠ ، ابن طباطبا ، الفخرى ، ص١٨٢ .

(٧٦) قدامه بن جعفر ، كتاب الخراج وصناعة الكتابة ، فرانكفورت ، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م ، ص٢٠١ ، ضيف الله الزهرانى ، موارد بيت المال ، ص٢٤٠ - ٢٤١ .

(٧٧) البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص٢٨٩ - ٢٩٠ ، ضيف الله الزهرانى ، موارد بيت المال ، ص٢٤١ .

(٧٨) الجهشيارى ، الوزراء ، ص١٤٥ .

(٧٩) الجهشيارى ، الوزراء ، ص١٤٢ - ١٤٣ .

(٨٠) ابن طباطبا ، الفخرى ، ص١٨٣ .

(٨١) الجهشيارى ، ص١٥٦ .

(٨٢) المسعودى ، مروج الذهب ، جـ٣ ، ص٣٢٢ ، ابن طباطبا ، الفخرى ، ص١٨٤ .

(٨٣) الطبرى ، تاريخ ، جـ٨ ، ص١١٧ ، المسعودى ، مروج الذهب ، جـ٣ ، ص٣٢٢ ، الجهشيارى ، الوزراء ، ص١٥٥ .

(٨٤) الطبرى ، تاريخ ، جـ٨ ، ص١٥٤ - ١٥٥، الجهشيارى ، الوزراء ، ص١٥٥ .

(٨٥) الطبرى ، تاريخ ، جـ٨ ، ص١٥٥ .

(٨٦) الطبرى ، تاريخ ، جـ٨ ، ص١١٧ .

(٨٧) الطبرى ، تاريخ ، جـ٨ ، ص١٥٥ ، الجهشيارى ، الوزراء ، ص١٥٥ ، ابن طباطبا ، الفخرى ، ص١٨٤ .

(٨٨) الطبرى ، تاريخ ، جـ٨ ، ص١١٩، ١٥٦ ، الجهشيارى ، الوزراء ، ص١٥٥ ، ابن طباطبا ، الفخرى ، ص١٨٤ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ٥، ص٥٢ .

(٨٩) الطبرى ، تاريخ ، جـ٨ ، ص١١٩ ، ابن الأثير، الكامل ، جـ٥ ، ص٥٢.

(٩٠) الطبرى ، تاريخ ، جـ٨ ، ص١٣٦ .

(٩١) الطبرى ، تاريخ ، جـ٨ ، ص١٥٦ ، الجهشيارى ، الـوزراء ، ص١٥٦ ، ١٥٨ ، ابن طباطبا ، الفخرى ، ص١٨٤ ، ابن الأثير ، الكـامل ، جـ٥ ، ص٦٦ .

(٩٢) فاروق عمر ، العباسيون الأوائل ، ط٢ ، بغداد ، جامعـة بغـداد ، ١٩٧٧ ، ص١٥٦ .

(٩٣) الطبرى ، تاريخ ، جـ٨ ، ص١٥٦ .

(٩٤) الطبرى ، تاريخ ، جـ٨ ، ص١٥٧ ، ١٥٩، الجهشـيارى ، الـوزراء ، ص١٦٠ - ١٦١ .

(٩٥) الطبرى ، تاريخ ، جـ٨ ، ص١٦٠ ، ١٦٢ ، الجهشـيارى ، الـوزراء ، ص١٦١ .

(٩٦) الطبرى ، تاريخ ، جـ٨ ، ص١٥٧ ، ١٦٠ ، الجهشـيارى ، الـوزراء ، ص١٥٩ - ١٦٠ .

(٩٧) الجهشيارى ، الوزراء ، ص١٥٨ .

(٩٨) ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، جـ٥ ، ص٣٠٨ ، أحمد مختار العبـادى ، فى التاريخ العباسى والفاطمى ، بيروت ، دار النهضـة العربيـة ، ١٩٧٠ ، ص٨٢ .

(٩٩) الطبرى ، تاريخ ، جـ٨ ، ص٥٦ .

(١٠٠) الطبرى ، تاريخ ، جـ٨ ، ص١٨٦ .

(١٠١) الطبرى ، تاريخ ، جـ٨ ، ص٢٠٨ ، ابن طباطبا الفخرى ، ص١٩٨ .

(١٠٢) س. د. جواتياين ، دراسات فى التاريخ الإسلامى ، ص٩٧ .

(١٠٣) الطبرى ، تاريخ ، جـ٨ ، ص ٢٣٣ ، الجهشيارى ، الوزراء ، ص١٧٧.

(١٠٤) الطبرى ، تاريخ ، جـ٨ ، ص ٢٣٥ ، ٢٦٥ ، الجهشيارى ، الوزراء ، ص١٧٩ ، ٢٠٧ ، ابن طباطبا ، الفخرى ، ص٢٠٥ .

(١٠٥) الطبرى ، تاريخ ، جـ٨ ، ص ٢٣٥ .

(١٠٦) الجهشيارى ، الوزراء ، ص١٧٨ .

(١٠٧) ابن طباطبا ، الفخرى ، ص١٩٨ ، ابن خلدون ، المقدمة ، ط٣ ، مكة ، المكتبة التجارية ، ١٤١٤ - ١٩٩٤ ، جـ١ ، ص١٩ .

(١٠٨) ابن طباطبا ، الفخرى ، ص٢٠٥ ، ابن خلدون ، المقدمة ، جـ١ ، ص٢٥٢ .

(١٠٩) الجهشيارى ، الوزراء ، ص١٨٩ ، صالح أحمد العلى ، معالم بغداد الإدارية والعمرانية ، ص٣٧ - ٣٨ .

(١١٠) الجهشيارى ، الوزراء ، ص١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٩ ، ٢١١ ، ابن طباطبا ، الفخرى ، ص١٩٨ .

(١١١) ابن خلدون ، المقدمة ، جـ١ ، ص١٩ .

(١١٢) فاروق عمر ، الجذور التاريخية للوزارة العباسية ، ط١ ، بغداد ، ١٩٨٦ ، ص١١٢ .

(١١٣) الطبرى ، تاريخ ، جـ٨ ، ص٢٤١ .

(١١٤) اليعقوبى ، تاريخ ، جـ٢ ، ص٤٠٨ ، الطبرى ، تاريخ ، جـ٨ ، ص٢٤٢، ٢٤٣ ، الجهشيارى ، الوزراء ، ص١٩٠ .

(١١٥) اليعقوبى ، تاريخ ، جـ٢ ، ص٤٠٧ ، الطبرى ، تاريخ ، جـ٨ ، ص٢٥٥، ٢٥٧ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ٥ ، ص٩٦ .

(١١٦) يذكر الطبرى أن عدد الجند بلغ ٥٠٠,٠٠٠ خمسمائة ألف جندى وهو بلا شك عدد مبالغ فيه ، تاريخ ، جـ٨ ، ص٢٥٧ .

(١١٧) الأبناء هم أحفاد الخراسانيين الذين أتوا مع الجيش القادم من خراسان عند قيام الدولة العباسية .

(١١٨) الطبرى ، تاريخ ، جـ٨ ، ص٢٤٠ - ٢٤١ .

(١١٩) الجهشيارى ، الوزراء ، ص١٩٤ .

(١٢٠) الطبرى ، تاريخ ، جـ٨ ، ص٢٥٢ ، الجهشيارى ، الوزراء ، ص١٩٠ .

(١٢١) الطبرى ، تاريخ ، جـ٨ ، ص٢٦٦ .

(١٢٢) اليعقوبى ، تاريخ ، جـ٢ ، ص٤١٠ ، الطبرى ، تاريخ ، جـ٨ ، ص٢٦٢- ٢٦٣ ، الجهشيارى ، الوزراء ، ص٢٠٨ ، ابن الأثير ، الكامل، جـ٥ ، ص١٠٣ .

(١٢٣) الطبرى ، تاريخ ، جـ٨ ، ص٢٦٣ ، ٢٦٥ .

(١٢٤) الجهشيارى ، الوزراء ، ص٢٠٤ .

(١٢٥) الجهشيارى ، الوزراء ، ص٢١١ ، عبد العزيز الدورى ، العصر العباسى الأول ... ط٣ ، بيروت دار الطليعة ، ص١٢٧ .

(١٢٦) الجهشيارى ، الوزراء ، ص٢٢٥ ، عبد العزيز الدورى ، العصر العباسى الأول ، ص١٢٦ .

(١٢٧) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، جـ١ ، ص٣٢٩ .

(١٢٨) الجهشيارى ، الوزراء ، ص٢٠٤ ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، جـ١ ، ص٣٢٩ .

(١٢٩) الجهشيارى ، الوزراء ، ص٢٨١ ، ٢٨٨ .

(١٣٠) الطبرى ، تاريخ ، جـ٨ ، ص٢٣٦ .

(١٣١) اليعقوبى ، تاريخ ، جـ٢ ، ص٤١٥ ، الطبرى ، تاريخ ، جـ٨ ، ص٢٧٢ .

(١٣٢) اليعقوبى ، تاريخ ، جـ٢ ، ص٤١٢ - ٤١٣ .

(١٣٣) الأزدى ، تاريخ الموصل ، تحقيق على حبيبه ، القاهرة ، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م ص٢٨٧ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ٥ ، ص١٠٣ .

M. A. Shaban, Islamic history, Cambridge Univ. Press (١٣٤)
1976, Vol. II, p. 33-34.

(١٣٥) الطبرى ، تاريخ ، جـ٨ ، ص٢٥٦ .

(١٣٦) اليعقوبى ، تاريخ ، جـ٢ ، ص٤١١ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ٥ ، ص٩٦ ، ١٠٣ .

(١٣٧) اليعقوبى ، تاريخ ، جـ٢ ، ص٤١١ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ٥ ، ص٩٥ ، ١٠٤ .

(١٣٨) ابن الأثير ، الكامل ، جـ٥ ، ص١٠٤ .

(١٣٩) الجهشيارى ، الوزراء ، ص١٩١ .

(١٤٠) الطبرى ، تاريخ ، جـ٨ ، ص٢٣٧ ، البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص١٤٩، ١٥٦ ، ١٦٣ .

M. A. Shaban, Islamic history, Vol. II, p. 36.

(١٤١) الطبرى ، تاريخ ، جـ٨ ، ص٢٩١ ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، جـ١، ص٣٤٤ ، الدميرى ، كمال الدين ، حياة الحيوان ، بيروت ، دار الفكر ، د. ت ، جـ٢ ، ص١٢٨ .

(١٤٢) الجهشيارى ، الوزراء ، ص٢٤١ .

(١٤٣) فاروق عمر ، الجذور التاريخية للوزراء ، ص١٢١ .

(١٤٤) توفيق سلطان اليوزبكى ، الوزارة نشأتها وتطورها فى الدولة العباسية ، بغداد ، مطبعة الإرشاد ، ١٣٧٠/١٩٧٠ ، ص٧٦ .

(١٤٥) اليعقوبى ، تاريخ ، جـ٢ ، ص٤٢١ ، الطبرى ، تاريخ ، جـ٨ ، ص٢٧٨، المسعودى ، مروج الذهب ، جـ٣ ، ص٣٧٧ ، الجهشيارى ، الوزراء ، ص٢٣٤ – ٢٣٥ ، ابن طباطبا ، الفخرى ، ص٢١٠ .

(١٤٦) الجهشيارى ، الوزراء ، ص٢٤٣ .

(١٤٧) المسعودى ، مروج الذهب ، جـ٣ ، ص٣٧٧ ، فاروق عمر ، بحوث فى التاريخ العباسى ، بيروت ، دار القلم ، ١٩٧٧ ، الطبعة الأولى ، ص١٣٠- ١٣٢ .

(١٤٨) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، جـ٤ ، ص٣٧ .

(١٤٩) الأربلى (عبد الرحمن سنبط قنتو) خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك ، القاهرة ، ١٨٨٥ ، ص١٠٧ .

(١٥٠) الجهشيارى ، الوزراء ، ص٢٥٨ ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، جـ٦ ، ص٢٢٨ .

(١٥١) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، جـ٢ ، ص١٢٠ ، جـ٤ ، ص٤١ .

(١٥٢) الجهشيارى ، الوزراء ، ص٢٩ - ٣٠ ، ابن طباطبا ، الفخرى، ص٢٢١.

(١٥٣) الجهشيارى ، الوزراء ، ص٣١ .

(١٥٤) الطبرى ، تاريخ ، جـ٨ ، ص٣٣٨ ، الجهشيارى ، الوزراء ، ص٢٦٦ .

(١٥٥) الطبرى ، تاريخ ، جـ٨ ، ص٣٤٤ .

(١٥٦) الجهشيارى ، الوزراء ، ص٢٦٦ .

(١٥٧) الطبرى ، تاريخ ، جـ٨ ، ص٣٧٠ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ٥ ، ص١٣٥ .

(١٥٨) الطبرى ، تاريخ ، جـ٨ ، ص٣٧١ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ٥ ، ص١٣٥ - ١٣٦ .

(١٥٩) د. عبد المنعم ماجد ، العصر العباسى الأول ، ط٣ ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٨٤ ، جـ١ ، ص٢٩٤ .

(١٦٠) الطبرى ، تاريخ ، جـ٨ ، ص٣٧٢ ، الجهشيارى ، الوزراء ، ص٢٧٨ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ٥ ، ص١٣٦ .

(١٦١) الطبرى ، تاريخ ، جـ٨ ، ص٣٧٢ ، الجهشيارى ، الوزراء ، ص٢٧٩ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ٥ ، ص١٣٧ .

(١٦٢) الطبرى ، تاريخ ، جـ٨ ، ص٣٨٩ ، ابن الأثـــير ، الكـامل ، جـــ٥ ، ص١٤١ .

(١٦٣) الطبرى ، تاريخ ، جـ٨ ، ص٣٨٩ .

(١٦٤) الطبرى ، تاريخ ، جـ٨ ، ص٣٩٠ .

(١٦٥) الطبرى ، تاريخ ، جـ٨ ، ص٣٩٩ ، ابن الأثـــير ، الكـامل ، جـــ٥ ، ص١٤٣ .

(١٦٦) الطبرى ، تاريخ ، جـ٨ ، ص٣٩١ ، ٤١١ ، ابن الأثير ، الكامل، جـــ٥، ص١٤٣ ، ابن الوردى ، زين العابدين بن مظفر ، تاريخ ابـــن الـوردى ، ط١، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م ، جـ١ ، ص٢٠١.

(١٦٧) الطبرى ، تاريخ ، جـ٨ ، ص٤٠٤ ، ابن الأثـــير ، الكـامل ، جـــ٥ ، ص١٤٠ .

(١٦٨) الطبرى ، تاريخ ، جـ٨ ، ص٣٩٤ ، ابن الأثـــير ، الكـامل ، جـــ٥ ، ص١٤٥ ، ابن الوردى ، تاريخ ابن الوردى ، جـ١ ، ص٢٠٢ .

(١٦٩) الطبرى ، تاريخ ، جـ٨ ، ص٤١٢ ، ابن الأثـــير ، الكـامل ، جـــ٥ ، ص١٤٦ .

(١٧٠) الطبرى ، تاريخ ، جـ٨ ، ص٣٩٤ .

(١٧١) الطبرى ، تاريخ ، جـ٨ ، ص٤١٤ .

(١٧٢) الطبرى ، تاريخ ، جـ٨ ، ص٤٢٤ ، الجهشيارى ، الـوزراء ، ص٣٠٥ – ٣٠٦ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ٥ ، ص١٥٠ .

(١٧٣) الطبرى ، تاريخ ، جـ٨ ، ص٤٢٣ .

(١٧٤) المسعودى ، التنبيه والإشراف ، ص٣١٨ ، الطبرى ، تـاريخ ، جـــ٨ ، ص٤٣٢ .

(١٧٥) الطـبرى ، تـاريخ ، جـــ٨ ، ص٤٨٠ ، ٤٨٨ ، المسـعودى ، التنبيـه والإشراف ، ص٣١٧ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ٥ ، ص١٦٣ ، ١٦٥ .

(١٧٦) ابن الأثير ، الكامل ، جـ٥ ، ص١٧٢ .

(١٧٧) ابن طباطبا ، الفخرى ، ص٢١٨ .

(١٧٨) الطبرى ، تـــاريخ ، جـــــ٨ ، ص٥٤٣ – ٥٤٤ ، المســـعودى ، التنبيـــه والإشراف ، ص٣١٨ .

(١٧٩) الطبرى ، تاريخ ، جـ٨ ، ص٥٢٨ ، ٥٤٠ .

(١٨٠) الطبرى ، تاريخ ، جـ٨ ، ص٥٥٤ .

(١٨١) الطـبرى ، تـــاريخ ، جـــــ٨ ، ص٥٦٥ ، ٥٦٨ ، المســـعودى ، التنبيـــه والإشراف ، ص٣١٩ .

(١٨٢) ابن طيفور ، أبى الفضل أحمد بن طـــاهر ، بغـــداد فـــى تـــاريخ الخلافـــة العباسية، بغداد ، مكتبـــة المثنـــى ، ١٣٨٨ – ١٩٦٨ ، ص٢ ، الطـــبرى ، تاريخ ، جـــ٨، ص٥٧٥ .

(١٨٣) ابن طيفور ، بغداد فى تاريخ الخلافة العباسية ، ص١١٣ ، ابن طباطبـــا ، الفخرى ، ص٢٢٢ ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، جـــ١ ، ص٢٨٧ .

(١٨٤) ابن طيفور ، بغداد فى تاريخ الخلافة العباســية ، ص١١٤ – ١١٥ ، ابـــن خلكان ، وفيات الأعيان ، جـــ١ ، ص٢٨٧ – ٢٨٩ ، الذهبى ، العبر فـــــى خبر من غبر ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، جـــ١ ، ص٢٨١ .

(١٨٥) ابن طباطبا ، الفخرى ، ص٢٢٣ ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، جـــــ٢ ، ص١٢٣ .

(١٨٦) الجهشيارى ، الوزراء ، ص٣١٦ .

(١٨٧) ترجع أصول عائلة أبى خالد إلى مرو الروذ ، الطبرى ، تاريخ ، جـــــ٨ ، ص٥٣٠ .

(١٨٨) ابن طيفور ، بغداد فى تاريخ الخلافة العباسية ، ص١١٨ – ١١٩ .

(١٨٩) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، جـــ٤ ، ص٤٥ .

(١٩٠) ابن طباطبا ، الفخرى ، ص٢٣٢ ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، جـــــ٤ ، ص٤٥ .

(١٩١) الطبرى ، تاريخ ، جـ١ ، ص٢٠ - ٢١ .

(١٩٢) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، جـ٢ ، ص١٢٧ .

(١٩٣) الطبرى ، تاريخ ، جـ٩ ، ص٢٠ ، ١٦٠ - ١٦١ .

(١٩٤) جيل قرية جنوبى بغداد ، ياقوت الحمـــوى ، معجـم البلـدان ، جـــ٣ ، ص٢٠٢ .

(١٩٥) اليعقوبى ، تاريخ ، جـــــ٢ ، ص٤٨٣ ، الطـبرى ، تـاريخ ، جـــ٩ ، ص١٥٠ .

(١٩٦) الطبرى ، تاريخ ، جـ٩ ، ص٢٠ ، ١٥٨ - ١٥٩ .

(١٩٧) الطبرى ، تاريخ ، جـ٩ ، ص٢٠ .